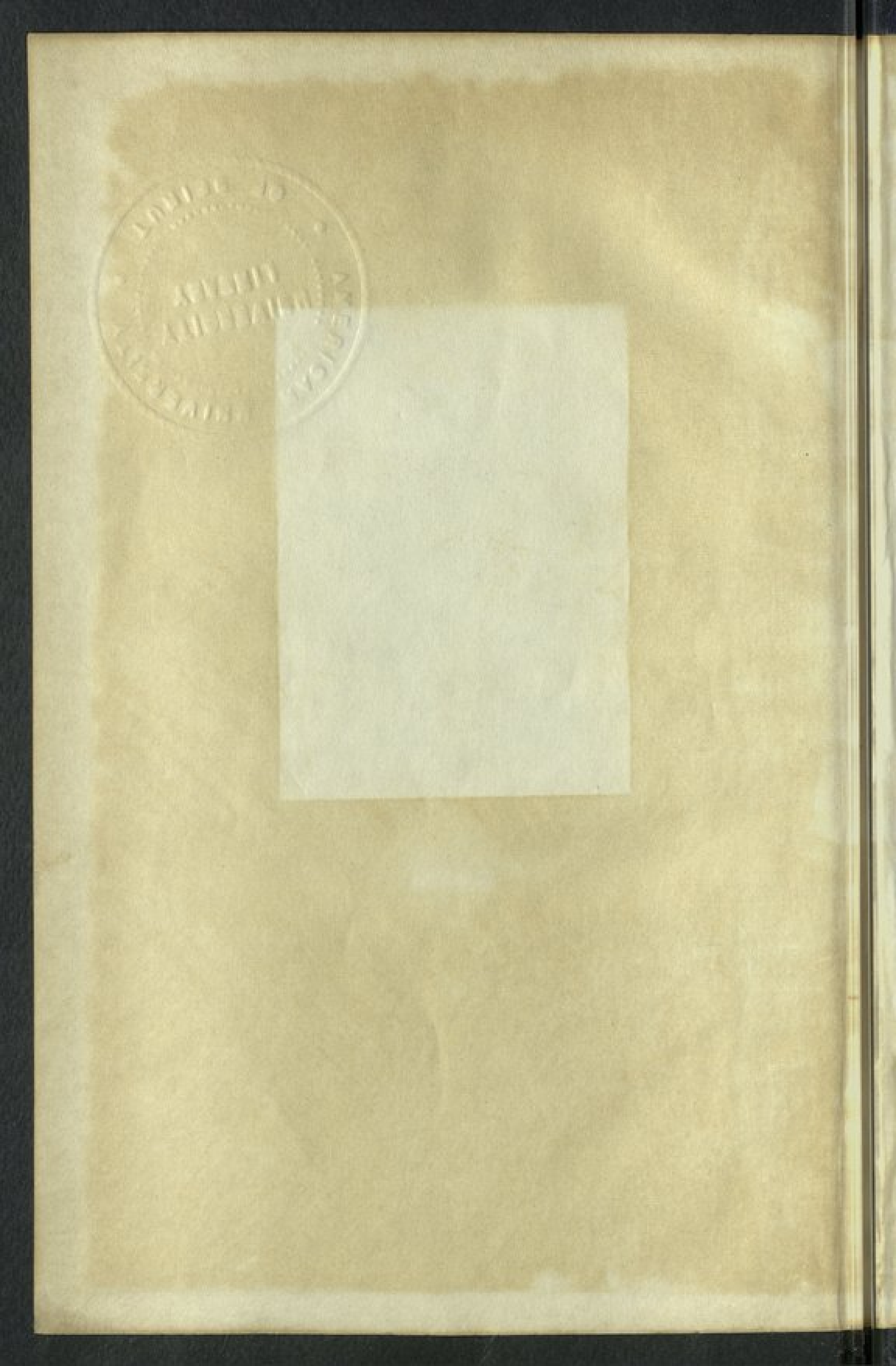
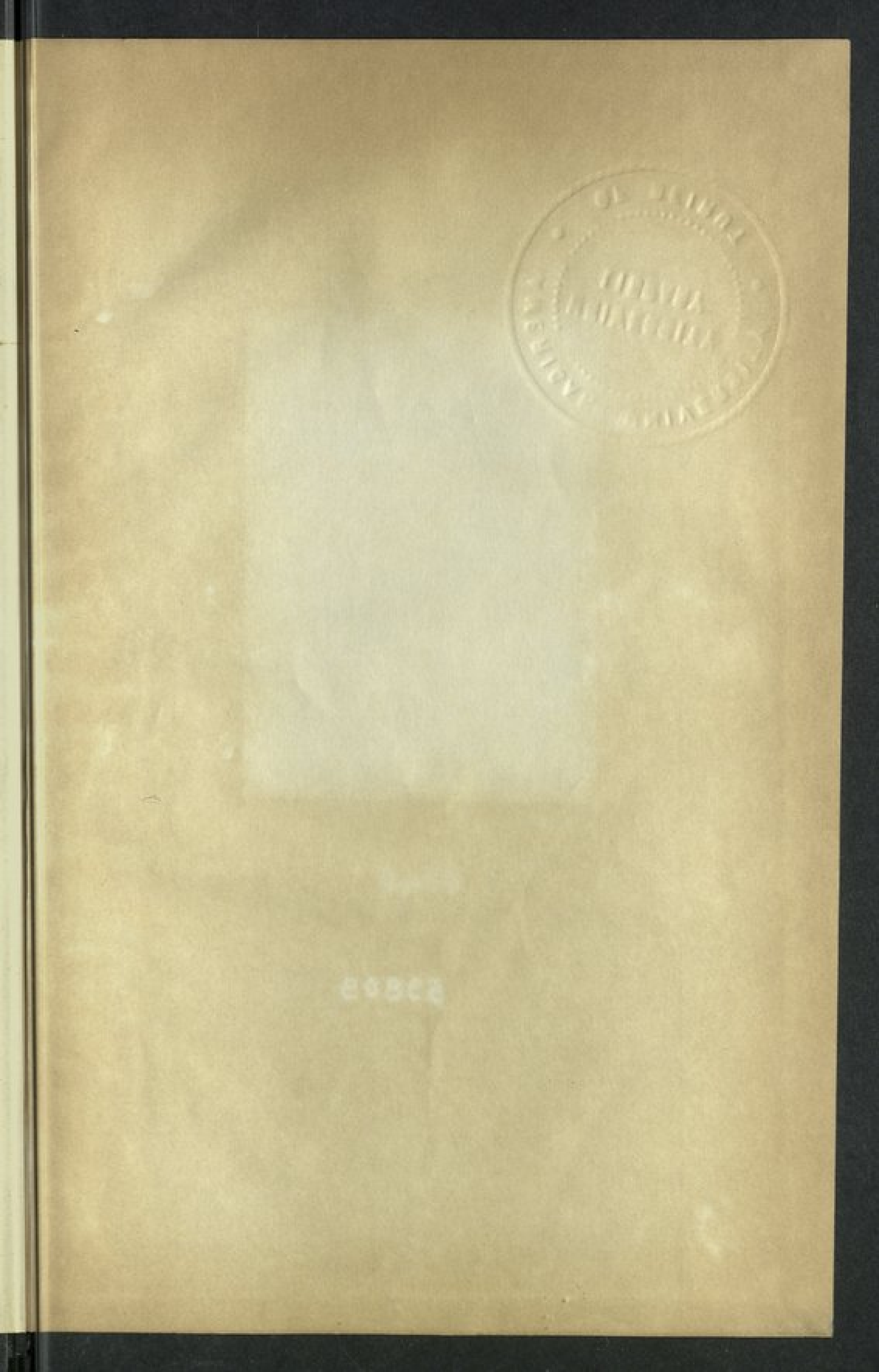
ابن القلاعي

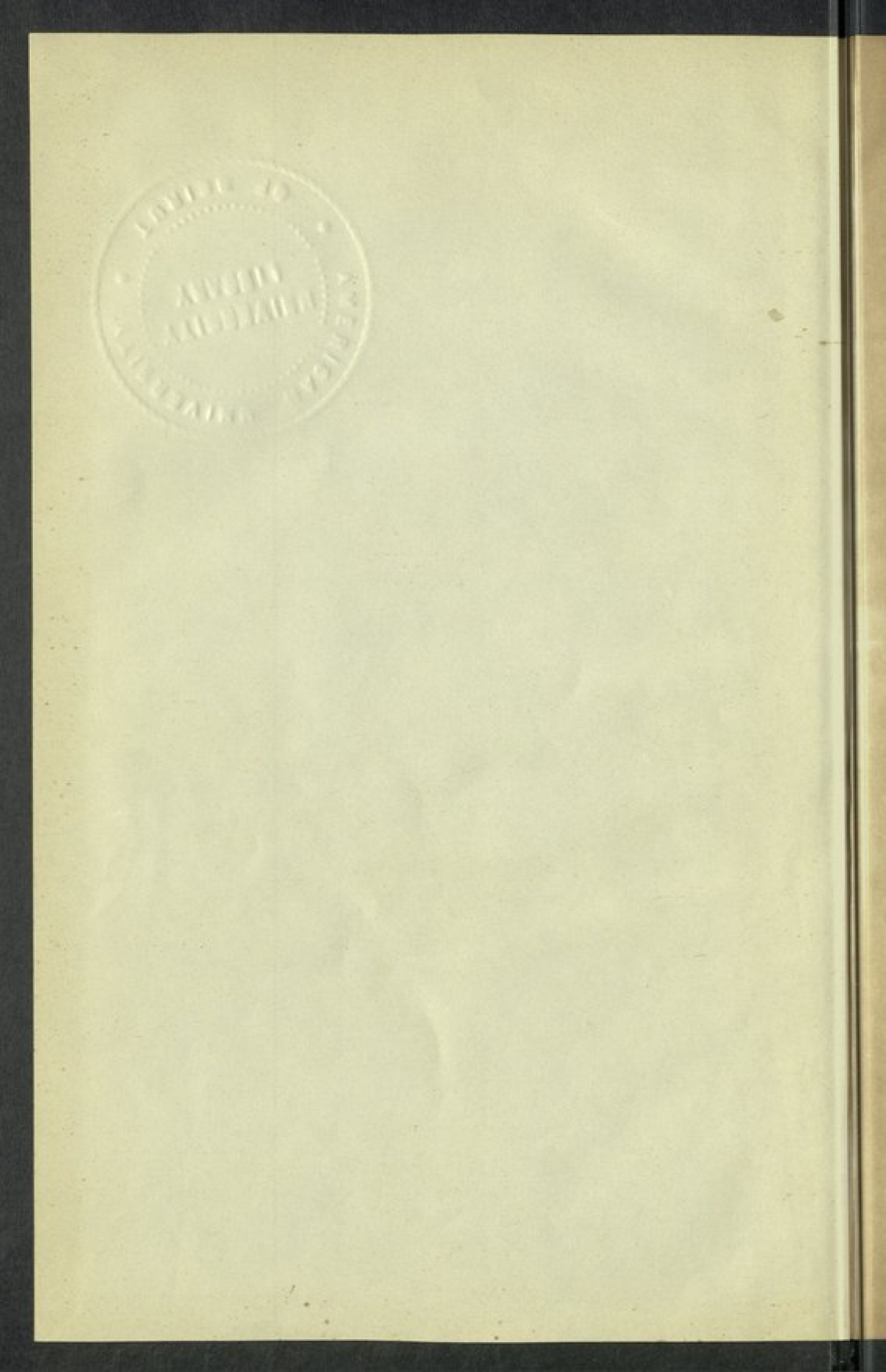
حروب المقدمين

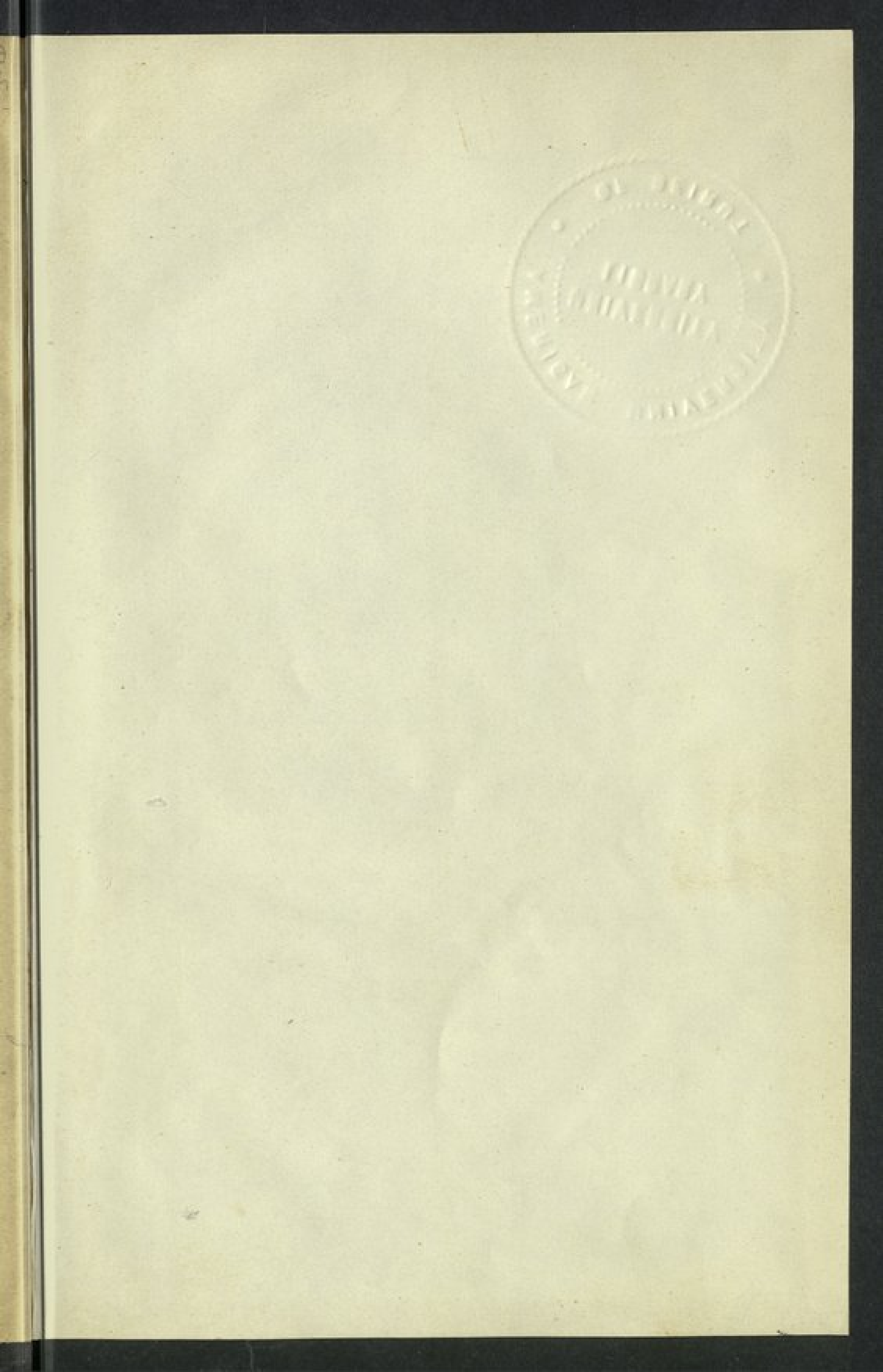
١٤٥٠-١٠٧٥


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY









المجلة البطريركية السنة العاشرة حزيران وتموز ١٩٣٥

حروب المقدمين

١٠٧٥ - ١٤٥٠

زجلية للمطران جبرائيل اللحفدي المشهور بابن القلاعي

اسقف قبرص الماروني

المتوفى سنة ١٥١٦

نشرها لاول مرة وعلق عليها

الخوري بولس قرألي

مدير المجلة البطريركية

مطبعة العلم . بيت شباب

١٩٣٧

مقدمة للناشر

في تاريخ الطائفة المارونية ثغرة واسعة تمتد من اواخر القرن السابع المسيحي، الذي نشأت فيه، الى اواسط القرن الخامس عشر، الذي عادت فيه مواصلاتها مع رومية. وليس لدينا ما نسدّ به هذه الثغرة او جزءًا منها سوى ما نقله الينا ابن القلاعي في زجليته المعنونة « مديحة على جبل لبنان »، وبعض فقرات وردت عرضاً في تآليف هذا العهد. وقد يخيل الينا، لاول وهلة، ان واضع هذه القصيدة أودعها تقاليد سمع شيوخ عصره يرددونها نقلاً عن صدى بعيد المدى، ولكنا اذا عثرنا فيها على ذكر الاسماء والسنين، واحياناً الاشهر والايام، تيقنا ان اللحفدي استند الى وثائق تاريخية. وقد قال في مطلع زجليته عن الحوادث التي سردها :

لولا توجد في الاسطر	ما كان يخبر عنها انسان
لكن التواريخ بتخبرنا	عن ما جرى في مواطنا

ويختمها بقوله :

كملت وبالدموع انكتبت	ومن التواريخ اتخذت

اما اختياره للشعر العامي في تدوين هذه الحوادث فقد يكون ناتجاً عن رغبته في التأثير على العامة. لان الزجلية عبارة عن عظة موجهة الى ابناء وطنه، ولاسيما الى بعض اهل القرى المتورطين في بدعة اليعقوبية. والقضية التي يدافع عنها تتلخص: في ان الموارنة، كما يقول الكتاب المقدس عن العبرانيين، اذا تمسكوا بالعقيدة الكاثوليكية اتحدوا في الرأي والتدبير، فتقووا على الاعداء المجاورين لهم، وردوا غاراتهم؛ بل هاجموهم وغنموا اراضيهم وخيراتهم، وتنعموا بالامن والراحة والرخاء. اما اذا اختلفوا في المذهب اختلفوا ايضاً في السياسة، فتفرقت قواهم وتضعضعت احوالهم، واصبحوا فريسة لاعدائهم. وما سرد الحوادث التاريخية الا لدعم حجته

وقد تدفعه حماسته الجدلية والدينية الى التعميم والمغالاة ليظهر فضل رومية على

الطائفة . فحاجه علماء الموارنة وبينوا خطأه[1] . وجلّ ما هنالك ان سكان بضع قرى مارونية مالوا حيناً من الزمن، بضغط حكامهم، الى بدعة اليعاقبة، مما لا يلطخ صحيفة الطائفة الدينية البيضاء . فقد كانت الاراء المذهبية في العصور القديمة، وخاصة في الشرق، وسيلة يتذرع بها الراغبون في السيطرة على الشعب لتكوين حزب منه يشد مشدهم . فالبدع في الشرق فتن حزبية اكثر منها دينية، وكانت في لبنان محلية لا عامّة . ولم يكن المنحازون الى هؤلاء الزعماء يميزون بين صحة ارائهم المذهبية وخطإها، لوعورتها وامتناعها عليهم . ولا يعقل ان شعباً يجهل الابجدية يحمله تحمسه الديني على الدفاع، حتى الخراب والموت، عن نظريات عويصة لا يفهمها

وهذا لا يقلل من قيمة هذا النشيد التاريخية، الذي نقل عنه اكثر مؤرخي لبنان والطائفة . فهو الوثيقة الوحيدة المتصلة بنا عن ذلك العهد وصاحبها اقرب المؤرخين اليه[2]

بدأ ابن القلاعي قصيدته بوصف شائق لعصر لبنان الذهبي، لما كان الموارنة طائفة قوية منتظمة بادارتها السياسية والكنسية، متضامنة بين اعضائها وحكامها ورؤسائها الدينيين . وكان الجميع يخضعون للبطريرك باعتبار انه السلطة العليا والكلمة النافذة على الجميع في الشؤون الروحية والسياسية . وكان لبنان مستقلًا في ادارته، مهاباً من جيرانه . وينتقل الناظم من هذا الوصف الى مقتل الامير اللبناني في قب الياس غدراً وما جرى بعده من مصادمة بين مقدمي الطائفة والعرب . ولم يعين ابن القلاعي تاريخاً لهذه المأساة، لكن المؤرخين الذين جاؤوا بعده، كالدويهي والسمعاني وصاحب مختصر تاريخ ابن القلاعي والشرتوني والدبس وغيرهم، جعلوها في اواخر القرن السابع . ونسب بعضهم، كصاحب المختصر، الغدر بالامير الى رسل عبد الملك ابن مروان المتولي الخلافة في السنة ٦٨٥ م، والبعض الآخر، وهم الاكثرية، الى اعوان يوستنيانوس الاخرم ملك الروم، الذي اعتلى عرش القسطنطينية في السنة عينها . وعندنا ان هناك خطأ فاحشاً او بالاحرى خطأين وقع فيهما هؤلاء المؤرخون، الاول لتعيينهم اواخر القرن السابع تاريخاً لمصرع الامير المذكور، والثاني لنسبتهم هذه

---

(١) راجع رد التهم للبطريرك الدويهي صفحة ٣٥٠ و ٣٦٨ و ٤١٢ وما بعدها

(٢) ولد ابن القلاعي على ما يرجح في اواسط القرن الخامس عشر وتوفي كما ذكرنا في السنة ١٥١٦ . راجع ترجمته في تاريخ الدويهي صفحة ١٤٠ و١٥٣ وخاصة ٤١٢

الفاجعة الى الروم بدلاً من العرب . واليك حججنا في ذلك، مع احترامنا الجزيل لهؤلاء الاعلام، واستعدادنا لاتباع رأيهم اذا تبين لنا اننا ضللنا السبيل

نحن لا ندري الى اي وثيقة استند المؤرخون المذكورون في تعيين اواخر القرن السابع تاريخاً لمقتل الامير اللبناني في قب الياس وابن القلاعي لم يعينه، بل ذكر ان المقدم سمعان، ابن اخت الامير المقتول، خلفه في القيادة وانهزم مع بقية المقدمين من وجه العرب تاركين سهل البقاع وشأنه، حتى اذا بلغوا المروج صمدوا للمهاجمين وفاز المقدم سمعان برأس قائدهم . وظلوا في اخذ ورد مع العرب في الصرود وفي السواحل نحو ثلاثين سنة، والنصر حليف الموارنة والمقدم سمعان مقدامهم . حتى اذا أمن تعديات الجيران ذهب لزيارة امير جبيل . فخرج الامير للقائه مع البطريرك الحالاتي الذي باركه وثبته على حكم كسروان بحضور اربعين اسقفاً . وقد امده الامير بالمال والرجال لرد غارات الاعداء . ويقول مختصر تاريخ ابن القلاعي ان البطريرك المذكور هو « غريغوريوس الحالاتي الذي كان في عهد البابا اينوشنسيوس الثاني الجالس على الكرسي سنة ١١٠٣ » . وقد نشر الشرتوني هذه الاخبار[١] نقلاً عن المختصر المذكور ووضعها بين حوادث القرن السابع، مع انه صحح بنفسه تاريخ قيام البابا اينوشنسيوس فجعله في السنة ١١٣٠ . ولا يخفى ان هناك اربعة قرون ونصف قرن بين السنة ٦٨٥، التي تولى فيها عبد الملك بن مروان ويوستنيانوس الاخرم، المتهمين بمقتل الامير في قب الياس، والسنة ١١٣٠ تاريخ انتخاب البطريرك الحالاتي، الذي لاقى المقدم سمعان ابن اخت الامير المقتول . ولا يجوز القول ان ابن القلاعي خلط بين المقدم سمعان وآخر معاصر للبطريرك الحالاتي، فقد جعل خلفاً له الامير كسرى خاله وشقيق الامير المغدور

وان قلنا ان هناك بطريركين من حالات، وهو ما لم يدّعيه احد حتى الان، فالحوادث التي يسردها ابن القلاعي بعد ذكر هذا البطريرك لاحقة بعصره وكلها متسلسلة في الزمن . وهذا يحملنا على الاعتقاد انه قصد في زجليته وصف ما وقع للطائفة ولبنان في عهد الصليبيين، اي من اواخر القرن الحادي عشر حتى اواخر الثالث عشر . لانه بعد ان انتهى من اخبار المقدم سمعان، المعاصر للبطريرك الحالاتي المنتخب في السنة ١١٣٠، والامير كسرى خاله حكى عن فتنة راهبي قرية

(١) تاريخ الدويهي صفحة ٩٨ و ٩٩

يانوح ودير نبوح، التي قامت في السنة ١١٤٥ . ثم ذكر البطريرك العمشيتي، الذي أمّ رومية في السنة ١٢٠٩، وعاد منها في السنة ١٢١٥ بصحبة الكردينال غوليلمو. وانتقل بالحديث الى وصاية المقدم باخوس وبناء دير قزحيا وفتنة الرهبان الاقباط في السنة ١٢٤٢ واقامة الشدياق في السنة ١٢٥٠ «حاكماً رقيباً» على البلاد والايمان. حتى وصل بالقارئ الى فتح العرب لطرابلس في السنة ١٢٨٩ وزحفهم على لبنان وما عقبه من هجوم المقدمين الموارنة عليهم ودحرهم في نهري الفيـدار والمدفون . ثم انتقل الى فتنة اليعاقبة في عهد البطريرك لوقا البنهراني وقصادة ايريكوس الراهب الدومنيكاني وما تم على يده من ارتداد الضالين الى حظيرة الايمان الكاثوليكي في السنة ١٣٠٠ . وبعد ذلك مر سريعاً بحوادث القرنين الرابع عشر والخامس عشر. فذكر البطاركة يوحنا اللحفدي (١٣٣٩_١٣٥٧) وجبرائيل من حجولا المستشهد في السنة ١٣٦٧، ويوحنـا الجاجي (١٤٠٤_١٤٤٥) حتى بلغ الى يعقوب الحدثي المتوفى في السنة ١٤٦٨ في عهد ابن القلاعي، فروى ما جرى في ايامه من الخياز عبد المنعم، مقدم بشري، الى المذهب اليعقوبي، الذي تبعه ايضاً قسم من اهالي حردين ولحفد . وختم بنصح هؤلاء ان يرجعوا الى عقيدة اجدادهم . ونصحه لاهالي لحفد، مسقط رأسه، حارّ مؤثر :

من اولادك يا أمي لحفد	السيف في قلبي منفـد
وانا كنت في اسمك امجّد	وحولتِ وجهي للحيطان

فأنت ترى ان الوقائع الواردة في هذه الزجلية تبدأ بمقتل الامير في قب الياس وتتسلسل غير منقطعة من اواخر القرن الحادي عشر الى زمن راويها . فلا يعقل ان يقفز في سردها من القرن السابع الى اواسط القرن الثاني عشر . وموضوعها، كما رأيت، حروب المقدمين الموارنة مع العرب قبيل احتلال الصليبيين لسوريا وفي اثناء هذا الاحتلال . وهذه المشادة طبيعية لان الطائفة المارونية كانت الوحيدة بـين الطوائف المسيحية صاحبة وطن مستقل حصين في الوقت الذي خضعت سوريا بأسرها للفاتحين العرب . ولما جاء الصليبيون واستولوا على انطاكية في السنة ١٠٩٨ وعلى طرابلس وجبيل في السنة ١١١٠ انضم الموارنة اليهم لانهم على مذهبهم وحاربوا معهم العرب خصوم الطرفين . وقد اجمع مؤرخو العرب والافرنج على تأييد هذا القول . فزجلية ابن القلاعي صفحة جديدة من تاريخ الصليبيين وصفحة مجيدة من

تاريخ لبنان والطائفة المارونية، يسطع منها جهادها في ذاك العهد في سبيل حريتها الدينية والمدنية

اما ما ذهب اليه المؤرخون، من ان رسل يوستنيانوس الاخرم ملك الروم، او على رواية صاحب المختصر، اعوان عبد الملك بن مروان، خليفة المسلمين، قد غدروا بأمير الموارنة في قب الياس، فلا ينطبق، كما برهنا، على الامير الذي ذكره ابن القلاعي. والاصح ان هذه المأساة وقعت لاحد امراء الموارنة في اواخر القرن الحادي عشر. ولا يعقل ان يكون الروم المغتالين، لان ظلهم كان قد تقلص من سوريا في هذا القرن. ولعل الدويهي ومن قال قوله ارادوا ان يلحموا هذه المأساة برواية ابعاد يوستنيانوس الاخرم لاثني عشر الفاً من المردة، طمعاً في ما وعده به عبد الملك ابن مروان من المال، فنسبوا اليه ايضاً مقتل هذا الامير[1]. لاننا اذا عدنا الى ما قاله ابن القلاعي عن هذه الفاجعة، وخاصة ما جاء بعدها، عرفنا ان الفاتكين بالامير مسلمون. فقد اخبر ان المقدم سمعان، بعد مصرع خاله، اضطر الى الانهزام مع بقية المقدمين من وجه العرب حتى المروج، حيث صمد لهم وفاز برأس قائدهم. هذا في الصرود. اما في السواحل فقد ضايق العرب الموارنة حتى اضطروهم الى التخلي عن قلعة انطلياس فتحصنوا فوق مضيق نهر الكلب وبنوا على قمته الغربية برجاً، لعله مكان دير مار يوسف البرج الحالي. فلا شأن للروم في كل هذه الوقائع ولا ذكر لهم في هذه الحادثة مطلقاً

ومع ما لهذه الوثيقة من القيمة والاهمية لم يجسر المؤرخون حتى الان ان ينشروها، خوفاً من المراقبة العثمانية، التي ما انتهت الا بنهاية الحرب الاخيرة، واكتفوا بذكر بعض فقرات منها لا تؤلف تاريخاً متسلسلاً

وقد ساقنا الحظ، في جولتنا الاخيرة في صرود مقاطعة جبيل، الى العثور في قرية مشمش على كتاب خط بالكرشوني مصدّر بهذه الزجلية، تلحقها نبذة جاءت كشرح لها، عنوانها « مختصر تاريخ ابن القلاعي » . وتليها عدة معلومات تاريخية، اغلبها مأخوذ عن تاريخ الشدياق خطار العينطوريني . والكتاب مؤلف من ١٩٥ صفحة قياس الواحدة منها ١٢×١٩ سنتمتراً مكتوبة على ورق سميك جيد. ويظهر

---

(١) راجع تاريخ الدويهي صفحة ٧٢ و٧٣ وتاريخ الموارنة للدبس صفحة ٤٩-٥٢

من حبره وورقه انه منقول في القرن الماضي عن كتاب اقدم منه عهداً . وهو بجوزة حضرة الاديب السيد جرجي حنا الخوري، الذي تكرم بتقديمه لنا ليوفر علينا عناء استنساخه . فشكرناه وتصفحناه بشوق . وها نحن ننشر عنه للقراء هذه الزجلية مع مختصرها . وقد قسمناها الى اجزاء حسب الموضوع معلقين عليهما بقدر الامكان مع ما يلوح لنا من الملاحظات، وخاصة على شرح صاحب المختصر، الذي لا يسعنا ان نوافقه على اخطاء كثيرة سقط فيها، فقد خلط احياناً بين تاريخ وغيره، وجاء شرحه في بعض النقاط عكس المقصود من واضع الزجلية . وهو من المتأخرين كما يظهر من عبارته العربية

ولدينا من هذه الزجلية نسختان اخريان، احداهما لحضرة القس لويس بليبل، صاحب تاريخ الرهبانية اللبنانية، نقلها عن نسخة وجدها في عربة قزحيا. وقد حاول تنقيح عبارة الزجلية وتقريبها من اللغة الصحيحة فشوهها . واليك مثالاً من ذلك . ففي نسختنا تقرأ الشعر الآتي :

زرعون وترشيش والوادي　　　سكنوا فيهـا الاسيادي

وهي ثلاث قرى في المتن معروفة الى الان بهذه الاسماء فأوردها كما يلي :

زرعوا اشجـار بالوادي　　　واسكنوا فيها الاسيادي

وهكذا قل عن اكثر ما اراد تصحيحه مما جعل النسخة عديمة القيمة وحدانا الى اهمالها :

ولدينا نسخة اخرى اتحفنا بها المؤرخ المأسوف عليه الخوري بطرس غالب، قدمها له المرحوم المطران يوسف صقر . وهي ناقصة من اولها وتبدأ بما جـاء عن سالم مقدم بشري :

وكل الشعب ثابت ضده　　　من الطاعه حاون جنده　　　وصار مخزي محروم وحده

وتنتهي بكلام الناظم عن رسولي ابن عطيه اليعقوبي :

على يـد اثنين متهومين　　　راحوا منـا مهزومـين　　　ولا عولما ولا مرسومين
خرجوا من لحفد صبيان

وقد اكملها نقلاً عن عدة كتب قديمة، فقابلناها مع نسختنا . وبعد ان نشرنا قسماً كبيراً من الزجلية وصلت الينا نسخة مشوهة نقلها صديقنا الاباتي طوبيا العنيسي

عن مخطوط قديم محفوظ في المكتبة الڤاتيكانية . وتكرم علينا صديقنا الاب جورج جراف، المستشرق الشهير، بصورة شمسية لهذه النسخة الڤاتيكانية . وعثرنا ايضاً في خزانة بكركي الخطية على نسخة سادسة، وسنشير الى هذه النسخ في تعليقنا . واليك الان نص الزجلية ومختصرها :

الخوري بولس قرألي

« مختصر تاريخ جبرائيل القلاعي اللحفدي »

١ ـ عصر لبنان الذهبي

« كانت الموارنة في دخول الاسلام بلد الشام تسكن جبل لبنان ويحكمون باقتدارهم في الجبال والسواحل التي تجاورهم . ويعتقدون في ايمان الكنيسة الرسولية الرومانية سائرين بحقوق الطاعة لبطركهم ويحامون عن الدين المستقيم وينتصرون لكل من يُقبل اليهم منهزماً بغرض الامانة من اصحاب الكفر والبدع . وكانت بلادهم من حدود بلاد الشوف الى بلاد الدرَيب . ولخوفهم من الدروز القاطنين بلاد الشوف[1] ابتنوا الحصن المعروف « بالقلعة الحجرية » في انطلياس والحصن المشهور في درجة بحرصاف »

« وساموا اسقفاً لقرية رأس المتن واسقفاً لقرية بحنس . ثم سعوا في تجديد ونشوء قرى وحقول في بيروت القديمة[2] وغرسوا بساتين وكروم على نهر العرعر[3] »

---

(١) هذا خطأ ؛ لان الدروز لم يظهروا قبل الحاكم بامر الله (٩٩٦ - ١٠٢٠)

(٢) بيت مري الحالية . راجع المجلة البطريركية ٦ : ١٢

(٣) العرعار نبع تستقي منه قرية بعبدات ويكاد يكفيها . وربما كان غزيرًا في ذلك العهد فسموه نهرًا . راجع عنه المجلة البطريركية ٦ : ١٣

مدحة على جبل لبنان

بلحن افرامي

أبدأ باسم الله الرحمان ... واعطي أمان لمن هو خفان[1] ... نمدح في طيب الالحان
نجهر عوارض هذا الزمان

كيف العصور بتتغير ... وفيها العقول بتتحير ... ولولا توجد في الاسطار[2]
ما كان يخبر عنه انسان

لكن التواريخ بتخبرنا ... عن ما جرى في مواطنا ... والذين كانوا قبل منا
سكان في جبل لبنان

كان ملوك منهم وابطال ... احموا السواحل والاجبال ... وذكروا عنهم الاجيال
وقالوا في جبل الله سكان

والله كان معهم ساكن ... ويحمي القرايا والمواطن ... ويرفع لمن هو متكامن[3]
ويعطيه حكم على الاعوان

ويغصب سكان السواحل ... يعطون الطاعة عاجل ... ويأتون في من هو غافل
وعاصي يحضر في الليوان[4]

ويتحاكم بعدل الناموس ... كما يأمر كرسي بطرس ... وكان راتب[5] لمن هو محبوس
يخلّص حياته في الايمان[6]

ان كان من امة غريبه ... يطلب دين المسيح طيبه ... يخلص من كل مصيبه
ويكون محمي على الاعوان

تدق النواقيس في البلدان[7] ... ويفتهمون سر الايمان ... ويجي البطرك والمطران
واشارتهم تحت الصلبان

---

(١) خائف (٢) لو لم نجده في الاسطر او الاساطير (٣) متواضع

(٤) الايوان اي المحكمة (٥) رتّب

(٦) كانوا في الغرب يطلقون سراح المسجون اذا انضم الى جيش الصليبيين. ولعل هذا مراده

(٧) جاء في تاريخ الدويهي صفحة ١٠٣ : «وفي سنة ١١١٢ اخذ الموارنة في الجبل يدقون النواقيس من نحاس بدل الخشب للصلاه». فان صح ذلك فحوادث الزجلية لم تقع في القرن السابع كما توهم الدويهي وغيره

ويحضر مَن هو متحاكم   وعلى طغيانه صار نادم   ويعترف انه كان عادم
ويعطى لجهنم والنيران[1]

وبعد اعترافه واعتماده   باسم يسوع صار تسعادُه   ويترك اهله وبلاده
ويسكن في جبل لبنان

ويعطيه البطرك مسكن   ويقوّيه حتى يتمكن   وفي اسرار الدين يتركن
ويجاهد لاجل الايمان[2]

وكانوا متحدين في الدين   والكل لاجله مجتهدين   كما الغني كما المسكين
طوع ومحبة مع ايمان

وليس كان مقالات تتغير   ولا كان حاكم يتدبر   ولا كان ظالم يتجبر
على مسكين في تلك الآن

وهرطيقي ليس كان عندهم   ولا مسلم يسكن بينهم   ويهودي ان كان يوجد عندهم
قبره تكشفه الغربان

والبطرك كان له سطوه   والحاكم كان له نخوه   وكانوا الاثنين اخوه
في العفة وفي الايمان

أمانه واحده مجهوره   وآيات صادقه منظوره   واسرار واحكام مستوره
ما يعلم فيها انسان[3]

أمانه نقيه بغير ازغال   نظيفه من زبل الابغال   ولا كان ساحر ولا محتال
يثبت في جبل لبنان

كانت حدوده محفوظه   والاسلام منه مرفوضه   والرزايا[4] منه مبغوضه
ومحمي في سيف الايمان

واحموه من حد انطلياس   ورسموا اسقف في الراس   وارموا الخوف والوسواس
على درزي لاجل الاوطان

---

(١) اي انه كان يستحق جهنم

(٢) اي ان لبنان كان ملجأ للمضطهدين لاجل المذهب الكاثوليكي والمرتدين اليه

(٣) اي ان البطريرك والحاكم كانا يدبّران امور الرعية ويصدران التعليمات السرية الى اولياء الشعب فلا يفشيها احد   (٤) الرذائل

وفي انطلياس ابنوا قلعه　　الحاجريه كانت تدعى　　بجرصاف عنها مرتفعه
وضعوها كرسي للمطران

وابنوا برج على الدرجه[1]　　واسقف بجنس في الخارجه[2]　　وفي العورعار كان له فرجه
بساتين تفاح مع رمان

بيروت العتيقه دمّسها　　قطع الامياه واعكسها　　نحو العطشانه[3] ادرسها
وجدد مزارع مع سكان

زرعون[4] وترشيش[5] والوادي[6]　　سكنوا فيهم الاسيادي　　فرسان وابطال واجنادي
تشرف على تلك البلدان[7]

٢ — مأساة قب الياس

« وكان اميرهم يسكن قرية بسكنتا[8]. ولكثرة رجاله وابطاله تعظم بذاته ونزل الى ارض البقاع نهبها وقتل فيها كثيرين. ومكث اياماً في قرية قب الياس[9] حدود البقاع بلحف الجبل. فلما بلغ خبره سلطان الاسلام في الشام وهو عبد الملك ابن مروان المتملك سنة ٦٨٥ في ايام يوستنيانوس الاخرم[10] ارسل يخادعه بلين الكلام واهداه هدية كأنه يريد مصادقته. وكان قصده اصطياده. ولم يزل يمكر به حتى

(١) درجة بجرصاف وهو موقع حصين　　(٢) كسروان لان القاطع كان تابعاً له
(٣) مزرعة واقعة غرب بجرصاف　　(٤) قرية قبلي ضهور الشوير
(٥) قرية على طريق زحله فوق عينطورة المتن　　(٦) مزرعة قديمة قرب قرية المتين
(٧) هذه القرى مرتفعة منيعة كاشفة لما حولها حتى البحر. كانوا يضعون فيها فرقاً من الفرسان والجنود لحماية البلاد والمحافظة على الامن
(٨) قرية حصينة في اعالي القاطع نقطة الاتصال بين لبنان وسهول البقاع من سوريا المجوّفة
(٩) قرية في المنقلب الشرقي من جبل لبنان تشرف على سهول البقاع يقال ان اسمها مركب من كلمتي « قبر الياس »، كما ورد في المحبي (٤:٢٧٠)، لان اميراً لبنانياً بهذا الاسم دفن فيها
(١٠) رأيت ان الامير الذي يقصده الناظم لا يمكن ان يكون من ذاك العهد وان صاحب المختصر خالف اكثر المؤرخين الذين يعزون قتل الامير الى الملك يوستنيانوس الاخرم. ومهما كان الامر فابن القلاعي لا يذكرها

تمكن من قتله . وذلك ان جنود الملك كانت تؤاكله وتشرب معه الخمر وأتوه بزانية ترقص قدامه الى ان نفشت الحاظـه من الخمر . وحينئذ وثبوا عليه وقتلوا من عسكره كثيرين واحرقوا القريـة وابعدوا الموارنة عن البقاع »

سكن الملك في بسكنتا ... وأرسل عساكر في بغته ... نهب البقاع في فرد نكته
وقتل رجاله مع النسوان

وطلع وسكن في قب الياس ... ورتب عساكر مع حراس ... البقاع تحت حافر خيله انداس
وطلعت اخباره للسلطان

بعت له خلعه مع قصاد ... اطمن وأكل معهم زاد ... وعساكر وراهم بتتجرد
كبسوه في تلك الاطمان[1]

قتلوه وانقتل من العساكر ... وانقتل كثير من الاوخار[2] ... واعطون في قب الياس نار
وملكون[3] البقاع من تلك الان

سبب ذلك كان المسكر ... ورقصت صبيه في المحضر ... سمعوا مقدمين العسكر
وخلعوا الطاعة مع الايمان[4]

تخلوا عنـه حتى قتلوه ... وجسده في قب الياس دفنوه ... واسمه في التواريخ ليس كتبوه[5]
لاجل انه مات وهو سكران

٣ — المقدم سمعان

« وكان ابن اخت الامير احد مقدمي العسكر يسمى سمعان . وكان رجلاً بطلاً شجيعاً صاحب مروءة ونخوة ولم يكن راضياً باعمال خاله وفواحش بذخه . وكذلك لما وقعت الواقعـة هرب مع جملة من المتقدمين ولم يحاموا عن اميرهم لشدة غيظهم منه بل رجعوا

(١) الاطمئنان
(٢) الآخرين اي المعتدين
(٣) اعطوا وملكوا
(٤) اي خلعوا طاعة الامير واليمين التي حلفوها له
(٥) يسميه الدويهي الامير يوحنا راجع صفحة ٧٣ من تاريخه

بعد قتله ودفنوا جسده في قب الياس وأمروا ان لا احد يذكر اسمه ليكن اسمه منسياً بزعمهم انه عاش ومات مرذولاً »

« ثم ان العسكر والمقدمين صعدوا الى الجبل و كانت الاسلام ترجمهم كثيرًا وتواقعوا في البقعة المعروفة بالمروج[1] فظفر المقدم سمعان برأس قواد العسكر الاسلامي وفتك بعسكره وهزمهم . ولم تزل الحروب في ذلك الحين تزيد ما بين الموارنة والاسلام من كل الجهات الى نحو ثلاثين سنة . و كانت الموارنة على الاغلب غالبة . فحدث من ذلك [ان] الطرق بطل سعيها واستعصت الجبال كلها فعجزت الموارنة عن القيام في حصن انطلياس كونه طرف البلاد فتركوه وأتوا الى ناحية نهر الكلب[2] وابتنوا فوقه حصن استحصنوا به . وعنده ايضاً [جرت] واقعة هائلة جداً وانسمع صوت بنادقها [وصراخ][3] ابطالها من قرية بحرصاف . و كان المقدم سمعان في بكفيا يومئذ ولما طرقت مسمعه اصوات الحرب انحدر اليهم حالاً ومعه نحو الف وخمساية رجل فادركوا الاعداء عند نهر الكلب وداروا حولهم دورة الحرب ما بين طعن وضرب الى ان افنوهم بحد السيف »

« ثم انطلق المقدم سمعان نحو يوسف امير مدينة جبيل فتلقاه البطريرك غريغوريوس الحالاتي الذي كان في عهد البابا اينوشنسيوس ٢

---

(١) شرق ضهور الشوير وقبلي بسكنتا

(٢) مضيق على ساحل البحر تحميه قنتان . وهو مفتاح كسروان منه دخل اكبر الغزاة الى لبنان كالاشوريين والمصريين والرومانيين واخيرًا الانكليز والفرنسويون . وقد نقشوا على جدرانه ذكرى غزواتهم فخلدوها وهي تشاهد حتى الان

(٣) وفي الاصل : وصار

الجالس على الكرسي سنة ١١٠٣[1] قريباً من المدينة و كلفه وأضافه . وبعد تمام الوليمة سار معه الى مدينة جبيل »

« وخرج الامير[2] [لملاقاتهما في خارج السور . وبعد ان قدم واجب الاحترام للسيد البطريرك اعتنق سمعان وسار الكل ماشين الى دار الامير . ثم ارسلوا فجمعوا اساقفة البلاد من عكار الى حدود الشوف و كانت عدتهم نحو اربعين اسقفاً وثبتوا سمعان اميراً على العاصية المسماة اليوم كسروان وحدودها من نهر بيروت الى نهر ابرهيم فباركوه ودعوا له وانصرفوا . ثم ان امير جبيل وهب للامير سمعان عدة من الخيل والجمال . فودّعه الامير سمعان] وخرج يحارب الاعداء . ولم يزل في طلب من هرب وصدّ من اقترب الى ان احتضنه الكفن وقبر في بسكنتا بشيخوخة صالحة مكرمة »

ابن اخته المقدم سمعان احماه وليس انهان في المروج قهر الثعبان
قطع راس باش عسكر السلطان[3]

ثلثين سنه ثبتوا في الحرب يمين وشمال وشرق وغرب ولا قط ارتجعوا عن الضرب
منصورين في كل اوان

ولاجل المحاصر والحروب انقطعت عنهم الدروب من انطلياس بدوا في الهروب
تركوا القلعة والبستان

قدجو[4] وعاصوا على نهر الكلب وابنوا برج من نحو الغرب ومن بحر صاف قدسمعوا الضرب
مدافع ترعق في الحيطان

---

(١) الاصح ١١٣٠

(٢) نسي صاحب مخطوطتنا قطعة مهمة فكتب : وخرج وقتئذ الامير سمعان يحارب الاعدا الخ فصححنا خطأه على ما نشره رشيد الشرتوني من هـذا المختصر في تاريخ الدويهي صفحة ٩٩ ووضعنا الكلام المأخوذ عنه بين هلالين معكوفين [ ]

(٣) يتحصل من هذا الكلام ومما يليه ان الحرب كانت دائرة مع العرب وانهم هم الذين فتكوا بالامير اللبناني وليس الروم كما ظن اكثر المؤرخين . راجع ماقلناه في المقدمة بهذا الخصوص

(٤) جاؤوا ولعل اصلها خرجوا

سمعان كان في بكفيا   سمع دويّ الاوديـا[1]   ركب في الف وخمس مية
وجاهم كالسقر الجيعـان

وجد الاسلام من فوق واسفل   واحتاطهم سمعان في الخيل   وابلاهم في شوم الليـل
ولا خـلّى منهم انسان

مضى يزور ملك جبيل[2]   لقاهم البطرك بجملة خيل   واعطاه دنانير في الكيل
من حالات[3] البطرك كان

اعزم الجملـة وضيّفهم   في مايتين بغل اخدمهم   وركب فرسه ورافقهم
بزياح صارخ مـع صلبان

سمع الملك دق الناقوس   خرج بعسكر مصمود ملبوس   وقال منصور والّا معكوس
جيت علينـا مقدم سمعان

وقال اكليلـك يخاطبني   وربي إيسوع ناصرني   وقدس البطرك باركني
وانا جيتـك منصور فرحان

نزل الملك عن احصانـه   وقبل سمعان في احضانه   مشي حافي مع غلمانـه
لما وصلوا للاوطـان

وكمل الفرح والمحفـل   وقصاد بكتب منه ارسل   الى كل اسقف انه ينزل
لطوع البطرك والايمـان

اجتمعوا اربعين اسقف   من الدريب لبلاد الشوف   ودهنوا لسمعان الموصوف
ملك على الخارجه وهي كسروان[4]

واعطاه مال وخيل مع اجمال   وبعت معه جملة رجال   وقال يعاونك في القتال
ربّاً تطيعـه في الايمـان

وراح سمعان وطّى الاعدا   وكل واحد يعطيه نجده   ومات وهو شيخ مجتهداً
في بسكنتا قبـل الاكفان

---

(١) الاودية

(٢) يسميه صاحب المختصر يوسف.

(٣) حالات قرية قديمة على شاطئ مقاطعة الفتوح بين المعاملتين وجبيل ما زالت عامرة حتى الآن

(٤) سماها صاحب المختصر العاصية، كما رايت

٤ ـ الامير كسرى

«وتخلف بعده كسره خال الامير سمعان واخ المقتول في قب الياس [وكان] ذا سطوة وبأس . وجرت له مع الاسلام وقايع شتى وسار الى القسطنطينية لعند الملك فاكرمه وحظي منه بغاية القبول واوهبه هبات جليلة واثبت امريته[1] على كسروان واصرفه بالسلام . وعاد راجعاً في البحر الى مينة طبرجا[2] فلقته اهل البلاد احسن قبول وهنوه بما جرى له من الحظ الكريم عند ملك الروم ودعوا بلادهم باسمه كسروان منذ ذلك الوقت نسبة لاسم الامير كسرى

« فسمع [الامير كسرى] بهذا الخبر [عن] كامل مقدم لحفد[3] انه رجل شجاع يغزو الاسلام ناحية بلاد بعلبك فاحبه ورغب مصادقته وارسل له هدية وسلام مع بعض غلمانه . فارتاب المقدم كامل منه وظنه انه يريد ان يغدر به . ولذلك بعد ان اكرم المرسلين قال لهم بنوع سرّي معتذراً اني لا اقدر اقبل منكم هدية الامير بسبب يوحنا امير جبيل لان ذلك يغيظه ويعطبني . واصرفهم من عنده

---

(١) أمارته

(٢) ميناء طبيعي بقرب المعاملتين شمالها

(٣) من جرود مقاطعة جبيل ومسقط رأس ابن القلاعي كما قلنا

بلطف الكلام . ولما رجعوا لعند الامير مولاهم واعلموه بواقعة الحال قال لا بدّ لي من مصادقة هذا الرجل وعاد ثانية يطلب منه ابنته لابنه ليتزوجها . فأرسل كامل يستشير امير جبيل بذلك . فأذن له وتمت الزيجة وبسببها امتزجت المحبة والصداقة ما بين اهالي جبيل وكسروان واستمروا مطأنين مقبلين بالسلامة والنجاح زماناً ليس بقليل

« وفي تلك الايام ابنى مسعود مقدم حبالين[1] كنيسة ماري اسطفانوس المشهور بقرية غرفين[2]

وقام بعده الملك كسرى ونشّى لمارون الحصره وأين ما راح كان له نصره
وسيفه صليب كان في الميدان[3]

دخل اصطنبول[4] يعطي خضوع والسيف فوق راسه مرفوع ولبسه في الصلبان مدروع[5]
واسمه ملك جبل لبنان

قال الملك لامبرادور[6] هذا هو الملك المنصور واسمه عالي فوق الصور
وهو خال الملك سمعان

---

(١) من اواسط مقاطعة جبيل

(٢) تحت حبالين بينها وبين عمشيت

(٣) كان الصليبيون يصنعون قبضات سيوفهم بشكل صليب

(٤) اسم اطلقه الاتراك على مدينة القسطنطينية التي وقعت في يدهم سنة ١٤٥٣ اي في عهد ابن القلاعي كما يرجح وكان الصليبيون قد انتزعوها من الروم سنة ١٢٠٣

(٥) كان الصليبيون يرسمون صلباناً على دروعهم وتروسهم

(٦) الامبراطور

ملك الروم اقتبله بانعام   ودهنه في سلطان تمـام   واعطاه درعه وذي الحكام
ويقيم نيّاب[1] على البلدان

وجاه الله كان له ملجا   ونفضه[2] في مينة طبرجا   التقوه العساكر في رهجه
ودعوا بلاده كسروان

وجد الكامل من لحفد   مع عسكر على الجبال يصعد   والى بعلبك كان ينفـد
وينهب في تلك البلدان

سمع الملك فرح به جدا   وقال هذا يكون لي نجدا   بعت لـه درع مع عودا
وليس اقتبله في اطمنان

بـل قصاده اكرمهم   ولجوا بيتـه اعزمهم   في سر مخفي أعلمهم
ان ذلك ذيّ الفرسان

وانا فارس ملك جبيـل   وهو علمني ركوب الخيل   يسمع لي يوّصلني الويل
لاجل ذلك انا فزعان

رجُعوا والخلعـه معهم   وجاوا[3] للملك ان يقبلهم   واحكوا له بما رافعهم
وشاكره في حفظ الايمان

بعت يخطب بنته لابنه   كامل ما كان في ظنـه   وعاد السر مكتوم عنده
واخبر لسيده في ما كان

اعطاه لها جهاز وجهزها   ومضى ابوهـا قدامها   وقال انا بنتي اخدمهـا
وأكون واحد من الغلمان

ورد لبـلاده في اسعاد   وصارت الملكة من لحفد   وحبلت وجاها منه اولاد
وركبوا الخيل مع الفرسان

وقام مسعود من احبالين   مقدّم في تلك الحـين   أبنى كنيسة في غرفين
على اسم القديس مار اسطفان

---

(١) نوّابا

(٢) أوصله

(٣) رَجوا ؟

٥ ـ نكبة كسروان

« اما الشيطان الحاسد فلم يحتمل حال الناس ان يكون حسن فأهمس الى راهبين خبيثين احدهما كان من قرية يانوح[١] والاخر من دير نبوح[٢] في سنة ١١٤٥ [م] سنة ٥٤٠ [هـ] وقالا ان المسيح لم تكن له روح مخلوقة وان طبعه غير قابل الاوجاع والآلام[٣] . وافسدوا راي الناس ووقع الانشقاق . وبلغت الاخبار الى رومية فارسل رسلًا البابا تنذرهم ليرجعوا عن ضلالهم فلم يقبل البطرك رسل البابا لانه كان سقط في البدعة[٤] وكان يسمى لوقا من بنهران[٥] وكثر الشر في البلاد من قبل انشقاق المذهب سنة ١٣٠٨ وافتتنوا

(١) من جرود جبيل الجنوبية بين قرطبا والعاقورة كانت مركزاً للبطاركة الموارنة حتى اواخر القرن الثالث عشر . راجع تاريخ الدبس صفحة ٢٠١ . وفيها خرائب معبد قديم جميل حوّل الى كنيسة تعرف الآن بمار جرجس الازرق

(٢) لا نعرف عنه شيئاً وقد كتبه الشرتوني « دار نبوح » راجع تاريخ الدويهي ص ٣٦٨

(٣) هذه بدعة ابوليناريوس

(٤) يقول الدويهي ص ٣٧٩ « ان هذه البدعة لم تنشأ في بلاد الشرق ولا تمسكت بها طائفة فيها » . وقال في موضع اخر (ص ٣٧٨ حاشية) « لو كان الموارنة هراطقة في ذاك العهد لما ابتاعت لهم الملكة قسطنسه مغارة الصليب في القدس ولما انعمت عليهم بمذابح مختصة في كنائس القيامة والجمانية وعلية صهيون وبيت لحم التي اثبتها لهم البابا اقليميس ٥ برسالة تاريخها سنة ١٣١٣ »

(٥) لم نجد في سلسلة بطاركة الموارنة بطريركاً بهذا الاسم ولعله بطريرك اليعاقبة في لبنان كما كان بعده البطريرك نوح البقوفاوي

حتى بلغت اخبارهم ملك الضاهر البرقوق وافتكر بانها فرصة وقعت لاخذهم والظفر بهم فلم يتكاسل بارسال العساكر واحاطة بجهة كسروان . وحاصروا اشد حصار مدى سبع سنين وتغلب عليها ومكث السيف والنهب ثائرًا في جبالها نحو اربعة اشهر ملحمة وضرب لا يطاق حتى ملّت وكلت العساكر من الطرفين موارنة واسلام . ثم ابتدت عساكر الاسلام تحرق كسروان واضرمت النار في الغابات والاملاك والقرى في كل مكان لان في السبع سنين المذكورة صارت الارض لعدم الفلاحة والاهتمام بها بورًا وارتفع الشجر والعشب البري من الحقول وتمكنت النار من حريقها اربعة اشهر من اول الحزيران الى آخر ايلول . ولم ينجو من هذا الحريق سوى مكان حصن معراب[1] واضحت النصارى تبكي وتندب كسروان وكسرها الذي لا يجبر لانها انقلبت قبرًا لاهلها وصارت مستوحشة سكانها البوم والوحوش الضارية وطرقتها اللصوص والخوارج .

ابليس اب [كل] الطغيان نظر شعب مارون فرحان حسده وارماه في احزان
لاجل اثنين كانوا رهبان

كان الواحد من يانوح والثاني من دير نبوح اكرزوا بسرًا موضوح
تكلم بهم روح الشيطان

قالوا المسيح ليس له نفس ولا طبع يستحمل ويحس ولا منطيع كرسي بطرس
لاجل انه على ذا الايمان

سمع البابا في عصاوتهم ارسل قصاد توعظهم البطرك ليس راد يقبلهم
وكان اسمه لوقا من بنهران

---

(١) قلعة فوق غسطا ما زالت خرائبها تنطق بعظمتها

وكثر الشر وصار غرضين[1] وصار انشقاق من اجل اثنين بتلك السبب ابنوا برجين[2]
وقسموا الملك في تلك الآن

سمع ذلك الملك برقوق وانفتح له باب مغلوق ارسل عساكر تحت وفوق
تحاصر في جبل لبنان

وجدوا البلاد بذاته مفصوخ[3] والطغيان جواته[4] ملطوخ وملكه بالكبريا منفوخ
ولا عاد طاعه ولا ايمان

اقاموا موعظين توعظهم وليس احد استمع منهم بعث البابا احرمهم
واشتعلت فيهم النيران

اما الملك الظاهر كتب للنياب[5] والعساكر جمله تحضر وتحاصر
وتنفق من مال السلطان

ومن يقطع من كسروان شجره ياخذ من ماله عشره سبع سنين ثبتوا الكفره
حتى دخلوا في اطمان

لعب السيف بين الفرسان ولا واحد مع رفيقه انهان لان الغرض كان من الشيطان
والحرومه اورت[6] برهان

قرية ليس تساعد اوخار[7] ولا فارس يخرج من دار على ما يصال اليه العسكر
بذاته يلتقي الفرسان

وضل الحرب ثمان اشهر والدم في الاسواق يهدر ولا منصور ولا مكسور
وقلت عساكر السلطان

فزعوا الاسلام من الكسره النصراني يقتل عشره قبل ان تجيهم الحشره
اعطوا في الحرش النيران

---

(١) حزبين
(٢) اي غير برج نهر الكلب كما تقدم
(٣) مفسوخ اي منقسم
(٤) داخله
(٥) النوّاب
(٦) أظهرت
(٧) اخرى

وسلكت النار وهبّوا الارياح تبات مشعله حتى يصبح اربع شهور ضلت تقدح
من اول يوم في حزيران

بلاد مجنون وعشب يابس وسبع سنين حيوان ما داس ولا كان فلاح ولا دراس
يكون لـه ابدًا فدان

وقطعوا الاثمار واشجار الغاب واعطوا النار من اربع اجناب خلصوا الذين في حصن معراب
لحم مشوي وعيون عميـان

لان النصارى والاسلام كانوا بحرب من غير انهزام الهارب في السيف اتهوّم
والثابت اشوتـه النيران

٦ ـ البطريرك ارميا العمشيتي [1]

« هذا ما جرى في كسروان . اما بلاد جبيل والبترون كان اميرهم قايماً مع رجاله عند نهر ابرهيم يحمي الحدود فهالته بلوة كسروان وعظم خوفه وأيقن ان الله غضب لحال الارطقة التي دخلت الى الناس فراسل البطرك واحضره لديه وكان يسمى ارميا وكلمه ماذا جرى بلوقا واقنعه بان يذهب الى رومة بنفسه ويقدم الطاعة للبابا ويستغفر لشعبه ويأتيهم في البركات [2] وعن السفن كانت بدت تقلع في ذاك الوقت ما امكن ان يذهب الى عمشيت [3] قريته يرتب

(١) انتخب سنة ١١٩٩ وتوفي سنة ١٢٣٠ راجع بخصوصه سلسلة البطاركة للقس طوبيا العنيسي ص ١٩ ـ ٢٢

(٢) يخالف الدويهي ابن القلاعي بقوله ان البابا زخيا ٣ هو الذي استدعى البطريرك ارميا على يد الكردينال بطرس ليحضر مجمع لاتران . وقد اكتشف العنيسي الرسالة التي وجهها اليه البابا المذكور وتاريخها ١٣ نيسان سنة ١٢١٣ راجع مجموعته للبراءات المارونية ص ١

(٣) تبعد عن جبيل ساعة ركوباً اما كرسيه فكان في يانوح

منزله بل سافر حالاً بمنزلة راهب فقير بصحبة شماس فقط ووضع وكيلاً عوضه المطران تادرس من كفرفو[1] وتكفل له الامير في لوازم بيته الى ان يرجع . فوصل الى رومية سنة ١٢٠٩ ولم يعرفه احد لحال فقره ولما اشهر ذاته البابا اينوشنسيوس ٣ بكى عليه ونزع وشاحه وطرحه على كتفيه وسأله من الذي عرّاك لانه توهم ان اللصوص سلبوه . فاخرج حينئذ البطرك الانجيل الذي كان معه[2] وقال هذا الذي سلبني من كرامتي وهذا الذي أمرني بالقدوم مسرعاً اليك لكيما احظى عاجلاً ببركاتك والغفران عن شعبي . فاستغرب البابا خطابه واتضاعه واعرض عليه بان يقدس ممتحناً بذلك دلالة على صدق قداسته . وكان جميع من حضر يرقبه ويميزه . فلما خدم القداس ورفع الرفعة وأنزل يديه بقي القربان الالهي واقفاً فوق رأسه . فصاح به البابا مختبراً ايضاً فضيلته انزل بالقربان المقدس فهذا مجد باطل لا يفيدك فرضخ القديس لوقته لامر البابا وانزل الجسد الالهي وكمل خدمته واذهل الناظرين وصار عندهم بمنزلة قديس منذ ذاك الحين وانعم عليه البابا بكلما طلب وابقاه عنده في رومية خمس سنين ونصف حضر المجمع العام الملتئم برومية[3] . ثم رجع الى الشرق ومعه الكردينال غوليمو ليكشف عن الموارنة ويأخذ صورة امانتهم بخط ايديهم وكان خروجهم من رومية سنة ١٢١٥ في ٣

---

(١) من قرى ساحل الجبه قبلي زغرتا على مسافة ساعة منها ركوباً (٢) هذا الانجيل محفوظ حتى الآن في المكتبة الماديشية بايطاليا (٣) في ١١ ت ٢ سنة ١٢١٥ وسلمه البابا براءة محفوظة حتى الان في خزانة بكركي الخطية راجع نصها في مجموعة البراءات للعنيسي ص ٣ وتجد ترجمتها في تاريخ الدويهي ص ٣٦١

كانون الثاني . فبلغوا لمينا طرابلوس الشام وتبادروا الناس اليهم واستقبلوهم اجل استقبال واصعد بهم اسقف قرية كفرفو وكيله وفيهِ اظهروا ما معهم من بركات البابا . واخذ البطرك يحل اللعنات من الناس والحرومات اللاحقة من الاراطقة . ثم امر باجتماع المجمع وفيه قرروا رفع البدع والطاعة لصاحب الكرسي الروماني ووضعوا خطوط ايديهم بحضرة الكردينال وكانوا بالمدد نحو مايتين وسبعين نفراً . واستقام حسن الايمان والعبادة منذ ذلك الوقت في لبنان الى ان تنيح البطريرك بدير سيدة ميفوق ودفن فيه سنة ١٢٣٠»

ملك جبيل على نهر ابرهيم   كان ماسك في تلك الحين   نظر الاجبال ملتهبين
ولا جاز على يده انسان

بكيوا النصاره على الاخوه   وهم في بلادٍ له نخوه   ولا عاد في عماره رجوه[١]
وصار هادم طول الازمان

كثرت فيه الحراميه   وصار مقطوع في بريه   جوهم[٢] أغفار تركمانيه
وغرضين اعطاهم سكان

والاكراد بين الاحلام   والدرزي في الشوف اقوام   والارفاض من نحو الشام
وكل واحد منهم وخفان

من ديب ثابت ضده   ومن غافل عن جاره اخده   ومن خامر عدوه عنده
قتلوه في امر السلطان

ملك جبيل صار في الاطراف   يحارب مع هولاي الاشراف   ولكن من الحرم كان بيخاف
و [من] ترعزع الايمان

طلب البطرك ارميا   وقال له نحن اليوم احيا   حروم البابا ليس هي اشيا
نعادلها لكلمة انسان

---

(١) رجاه   (٢) جاوُوهم

قوم احتال في شعب مارون وانت بوحدك اوفي القانون وانا راضي اكون مديون
وانفق مـا تعتاز الان

ادخل لروميه في حركه وحل الحروم وهات لنا بركه[1] واكون انا واياك شركه
في الملـك وفي الايمان

قال له طوع امر المخدوم برجع لعمشيت اعلم القوم ورتب من يخدم في الصوم
وبمضي بطوعك ما أنهان

قال ما عاد لك رجعـه لان المراكب تروح سرعه للرعيـه أنا بسعى
وشماسك حاضر الان

سافر البطرك في ذاك الليل لا لابس ولا راكب خيل ولا ودع من تلك الجيل
ولا وصى له في انسان

شماس معه كان من هابيل في حضنه كتاب الانجيل وشحيم صغير لخف التحميل
تراه الناس حافي عريان

دخل رومية بزي شحاد وخاطب البابا والاسياد وقد عرفوه تلك القصاد[2]
وقالو بطرك جبل لبنان

بكى البـابا لما نظره ونزع عنه غفارته وستره وسأله من اين جا خطره
ومن أين تشلح وهو عريان

شال أوراه كتاب الانجيل وقال هذا اوعاني تهليل واستحقيت من شرفه تبجيل
انظر قـدسك في اطمان

واتبارك من اقدامـك واخضع واسجد قدامك طامع اموت واحيا امامك
ولا جادل في عقل انسان

وشعبي قدامـك خاضع ومن تحت اقدامك طايع وكل مـا تأمر له سامع
لاجل الاعتقاد والايـمان

---

(١) يظهر ان الحل من خطيئة الهرطقة كان محفوظاً للحبر الاعظم
(٢) قصاد البابا الذين كانوا في الشرق

مبعوث وجيت زاير قدسك ... واعيش من تحت حافر فرسك ... نايب ايسوع دعيت نفسك
أنعم علي في احسان

خليفة بطرس لا تحقد ... وتطرد من حولك ساجد ... مَن تقدم لقدسك ليس تبعد
وتبعث تايب للنيران

ان كنت اخطيت انا تايب ... وقاصد ليس ارجع خايب ... واجب على قدسك واجب
تمسح الدمع من الاعيان

بكى البابا ومن حوله ... لما افتهموا قوله ... قالوا قداس نحضر له
وفعله ينبينا الآن

بمار بطرس صمد الشماس ... وبدا البطرك في القداس ... وقفت الشيله فوق الراس[1]
والبابا ناظر في الاعيان

نفر في البطرك وقال له اقبل ... يخلصك من مجد الباطل ... جاوبه على يدك تنزل
انا خاطي من اثامي فزعان

نظروا اتضاعه بافعاله ... طلبون تضرع في مساله[2] ... وكلما طلب منه ناله
وصار عنده مسرور فرحان

خمس سنين وست شهور ... وقف حتى اعطاه دستور[3] ... وخرج من روميه مسرور
انعم عليه واعطاه سلطان

بعت معه الكردينال غوالموا[4] ... في سلطانه وفي ختمه ... انه يكتب في قلمه
امانة اهل جبل لبنان

الف ومايتين وخمسة عشر عام ... لتجسد سيدنا افهم ... كانون الثاني ثلاث ايام[5]
خرج من رومية بتلك الآن

---

(١) في اثناء القداس يرفع الكاهن قبل المناولة القربانة والكاس فوق رأسه ليراها الشعب وهو يقول « القدسات تعطى للقديسين » وتعرف بالشيله اي ما يحمله الكاهن بيديه ويقسم الكاهن في لبنان عند الضرورة قائلًا « وحياة هالشيله »

(٢) مسألته

(٣) اذنًا في الرجوع

(٤) غوليلمو

(٥) ان تعيين التاريخ بهذه الدقة يدل على ان اللحفدي استند في قوله الى وثائق خطية

وصل لطرابلوس في ادار   ووقفوا النواقيس على الاسوار   وطلعت عنه الاخبار
واجتمعت عليه الاعيان

اسقف تادروس من كفرفو   كان خلاّه نايب خلفه   جمعه هناك وليس انصرفوا
حتى استمعوا الايمان

اقتبلوا منه البركات   وحلّوهم من اللعنات   طلبوا منه الشهادات
خط اليد وصدق الايمان

حلفوا وحطوا خطوط اياديهم   أمانة بطرس تكفيهم   ولا عاد هرطيقي يطغيهم
ويسكن في جبل لبنان

هذا الحلفان قد حلفوه   وايمان مكتوب اقتبلوه   وخط اياديهم وضعوه
ولا انغصب منهم انسان

في المسيح اعترفوا لاهوت   عظيم عن الالام والموت   ونفس عقلية تحس بالموت
كامل الاه وكامل انسان

طبع خاص يخص اللاهوت   طبع ناسوتي ذاق الموت   كذلك رايد في اللاهوت
وكاره الموت على حسب انسان

باقنوم الهي متحدين   ليس اقنومين مصطمدين   واحد مسيح نحن معترفين
ندعيه اله وندعيه انسان

مايتين وسبعين في الاتفاق   مكتوب خطوطهم في الاوراق   وليس في اساميهم انزهاق
موجودين حتى الآن[1]

الف ومايتين وثلاثين عام   البطرك ارميا تنيح ونام   في ميفوق[2] قبره اعلم
حافظ السنه والايمان

---

(١) هذا يعني ان الصك كان محفوظاً الى عهد اللحفدي

(٢) من اواسط مقاطعة جبيل كانت قديماً مركزاً للبطاركة ، راجع الدبس صفحة ٢٠١

ملاحظة

يلاحظ القارئ، مما جاء في هذا الجزء من الزجلية ومختصرها، خبط عشواء في تعيين تواريخ الحوادث السابقة واللاحقة لنكبة كسروان . فقد ذكر ابن القلاعي انها وقعت على عهد الملك الظاهر برقوق والبطريرك ارميا العمشيتي، مع ان الاول تولى السلطنة سنة ١٣٨٢ والثاني انتخب بطريركاً في سنة ١١٩٩ اي قبله بمئتين وثلاث وثمانين سنة. وزاد صاحب المختصر الطين بلة فعين سنة ١١٤٥ لفتنة راهبي يانوح ودير نبوح وسنة ١٣٠٨ للانشقاق الذي سببته وزعم ان نكبة كسروان الناتجة عنها جرت في عهد السلطان برقوق، الذي تمتد ولايته من سنة ١٣٨٢ حتى سنة ١٣٩٨، وان البطريرك ارميا سافر على أثرها الى رومية سنة ١٢٠٩ . فتأمل

وقد علل البطريرك الدويهي كل ذلك بقوله[١] « مَن تأمل هذه الامور الواردة في قول ابن القلاعي علم ان بين البطريرك ارميا والملك برقوق ما ينيف عن ١٥٠ سنة[٢] وان مقدمي الجبال الذين ضربوا العسكر عند جبيل ما كانوا في زمن البطريرك ارميا ولا في دولة الملك الظاهر برقوق بل في ايام الملك الظاهر بيبرس[٣] . ولكن ابن القلاعي لم يقصد من تأليف ميمره ان يأتي باخبار

---

(١) راجع تاريخه صفحة ٣٧٠

(٢) والاصح ٢٨٣ سنة كما رأيت

(٣) ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م

الموارنة بل ان يعظ المقدم عبد المنعم واتباعه الذين تبعوا اليعقوبية[١] ولذلك لم يتتبع منهج التواريخ بل قدّم وأخر على ما يوافق زجلياته .

وبعد ان سرد الدويهي الحوادث المذكورة في الزجلية لينفي عن الموارنة تهمة الهرطقة ختم بقوله[٢] « ان خراب كسروان لم يكن اذًا في ايام البطرك ارميا الذي كان في الدولة الايوبية[٣] ، ولا في عصر الملك الظاهر برقوق الذي كان في دولة الجراكسة[٤] ، بل في عصر الملك الظاهر بيبرس واتباعة في الدولة التركية التي توسطت الاثنتين[٥] » .

فاذا سلمنا ان ابن القلاعي اقدم على هذا الخبط في التواريخ فقدت زجليته قيمتها التاريخية ، وهي الوثيقة الوحيدة المتصلة بنا عن تلك العصور القديمة . وفي رأينا انه ، مهما قصد التأثير على عقول مواطنيه ، لا يركب هذا المركب الصبياني ، فينقل الحوادث من القرن الرابع عشر الى الثاني عشر ، ويجعل سفر البطريرك ارميا نتيجة لفاجعة وقعت بعده بمئة سنة . ونرجح ان نكبة كسروان التي وصفها وقعت فعلًا في اواخر القرن الثاني عشر ، وانها غير النكبة التي آلت الى خرابه النهائي على يد أقوش الافرم نائب دمشق في اوائل القرن الرابع عشر . انما اخطأ ابن القلاعي في اسم السلطان

---

(١) هذا يؤيد ما قلناه في مقدمتنا ٥١٤

(٢) صفحة ٣٧٨

(٣) ١١٧١ _ ١٢٥٠

(٤) ١٣٨٢ _ ١٥١٧

(٥) ١٢٥٠ _ ١٣٨٢

التي كانت في عهده فقال انه الظاهر برقوق

ودليلنا على ذلك اولاً ان ابن القلاعي كما بينا في المقدمة[1] راعى الترتيب التاريخي في الوقائع التي ذكرها في زجليته، وهي تمتد من اواخر القرن الحادي عشر الى اواسط الخامس عشر . وقد وضع نكبة كسروان الاولى في محلها في اواخر القرن الثاني عشر، قبل سفر البطريرك العمشيتي الى رومة، الذي حدث سنة ١٢٠٩ . وكل الحوادث التي سبقت هذه النكبة ولحقتها مذكورة بتسلسل لا يسمح لنا ان ندّعي ما ارتآه الدويهي فنبخس من قيمة نشيده التاريخية

ثانياً ان وقوع هذه النكبة في اواخر القرن الثاني عشر طبيعي، اذ كانت الحرب سجالاً بين صلاح الدين الايوبي (١١٧١-١١٩٣) والصليبيين المحتلين لسوريا . فلا يبعد ان يفكر الايوبي، بعد ان اقصى الافرنج عن هذه البلاد، في كسر شوكة اللبنانيين محالفيهم، ليكون في مأمن من تعدّياتهم، فيرسل احد قواده، او بالاحرى احد ابنائه، ليمزق شملهم ويدك معاقلهم، ويجعل اهم مقاطعاتهم واقربها الى بيروت ودمشق قاعاً صفصفاً . ومعلوم ان أبا الفتح الغازي، ثاني انجاله، لقب بالملك الظاهر[2]، فخلط ابن القلاعي بينه وبين الظاهر برقوق لشهرته وقربه من عهده

ثالثاً اذا امعنا النظر في وصف ابن القلاعي لنكبة كسروان

---

(١) صفحة ٥١٧

(٢) راجع تاريخ مصر الحديث للمرحوم جرجي زيدان مج ١ ص ٣٣٣

الاولى، وقابلناها مع ما جاء عن نكبته الثانية في مؤرخي ذاك العهد، كابن الحريري وابن سباط[1]، وجدنا فرقاً يجيز رأينا . فابن القلاعي يذكر حصاراً دام سبع سنين وحروباً دامت ثمانية اشهر دون ان يتمكن المهاجمون من اهل كسروان . ولما كانت الاعشاب والحشائش والاشجار قد تكاثفت ويبست في هذه المدة الطويلة، لقلة الفلاحة، عمد المسلمون الى حرقها وأوقدوا النار في الاحراش فعم الحريق كسروان كله وغُلب سكانه على امرهم . اما ابن الحريري وابن سباط فرويا « ان خمسين الفاً من المسلمين، صعدوا، بقيادة الاقوش، الى جبال كسروان « فملكوها وأخربوا قراها وقطعوا كرومها ومزقوا اهلها كل ممزق، وقتلوا وأسروا جميع من فيها من الدروز والكسروانيين » وليس في روايتهما ذكر لمقاومة طالت سبع سنين وحريق شمل كسروان كله

رابعاً اذا كان الظاهر بيبرس، حسب قول الدويهي، هو المقصود من ابن القلاعي، فالملك المذكور توفي في سنة ١٢٧٧، وخراب كسروان الاخير وقع، حسب المؤرخين المار ذكرهما، في سنة سبع وسبعمائة للهجرة، (١٣٠٧ م)، اي ثلاثين سنة بعد وفاته

خامساً ان ابن القلاعي، بعد ان ذكر فتح المسلمين لطرابلس (١٢٨٩ م) وهجوم المقدمين الموارنة عليهم وكسرهم في نهري المدفون والفيدار، اخبر ان خلافاً مذهبياً وقع بينهم وان بعضهم مال الى اليعقوبية « فاسلمهم الرب بيد اسماعيل في السواحل والجبال،

---

(١) راجعها في الدويهي ص ٣٧٦ و٣٧٧

فاستولوا على كثير من قراهم واستعبدوهم وهدموا كنائسهم » فلعله يشير بذلك الى نكبة كسروان الثانية . والله اعلم .

ملاحظة (تابع)

هذا ما يخص نكبة كسروان . وقد خلط ابن القلاعي ايضاً بين البطريرك ارميا العمشيتي (١١٩٩ — ١٢٣٠) والبطريرك ارميا الدملصاوي (١٢٨٢ — ١٢٩٧) ناسباً الى الاول ما سبب سفر الثاني . وله عذره في ذلك فالحبران يحملان اسماً واحداً ومن قريتين متجاورتين . لان دملصا من مزارع عمشيت ، وقد اعتاد اهالي المزارع الانتساب الى القرى الكبيرة التابعين لها لشهرتها وأهميتها فضلاً عن ان البطريركين قد سافرا الى رومية ، انما الاول قصد اليها بدعوة خاصة من البابا زخيا الثالث لحضور المجمع اللاتراني الذي التأم فيها سنة ١٢١٥ ، والثاني قصدها على أثر انتخابه بطريركاً في سنة ١٢٨٢ بناء على الحاح الشعب الماروني وأمير جبيل ، تاركاً وكيلاً عنه المطران تاودورس . ومن غريب الصدف ان اسقف كفرفو في عهد البطريرك العمشيتي كان يدعى ايضاً تاودورس فالتبس أمره على ابن القلاعي . وقد وقع في هذا الالتباس كل مؤرخي الطائفة بعده ، كالدويهي والسمعاني والمطران اسطفان عواد والدبس وغيرهم ، الى ان تسنى لحضرة الاب البحاثة القس طوبيا العنيسي أن يزيله بوثائق نشرها في كتابه « سلسلة تاريخية للبطاركة الانطاكيين

الموارنة » (١) فاستند اولاً الى الحاشية السريانية التي علقها بخط يده البطريرك ارميا الدملصاوي على هامش الورقة ١٧ من كتاب الاناجيل المحفوظ في المكتبة الماديشية بفيرنسا من اعمال ايطاليا . واليك ترجمتها :

« في سنة ١٥٩٠ لليونان (١٢٧٩م) في اليوم ٩ من شباط أتيت انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة الى دير سيدتنا مريم بميفوق في وادي ايليج الذي في البترون الى سيدنا مار بطرس بطريرك الموارنة (٢) ورسمني بيديه المقدستين وجعلني مطراناً على دير كفتون المقدس على ضفة نهر ابرهيم (٣) وبقيت اربع سنين وكان سكان الدير المذكور الراهب حزقيال ورفيقه الراهب اشعيا والراهب دانيال والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه ايليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين . وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني امير جبيل والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة والقوا قرعة فاصابتني وجعلوني بطريركاً في دير حالات المقدس . ثم ارسلوني الى رومية المدينة العظمى وتركت أخانا المطران تاودورس يدير الرعية ويهتم بشؤونها »

---

(١) طبع برومية ٩٢٧ ص ٢٤ — ٢٧

(٢) البطريرك دانيال بطرس الحدشيتي (١٢٧٨ — ١٢٨٢) (٣) صفحة ٢٥

(٣) لا نعرف ديراً بهذ الاسم على ضفة نهر ابرهيم بل على نهر الجوز

فأنت ترى ان ما نسبه ابن القلاعي الى البطريرك العمشيتي من دعوة امير جبيل له وايفاده الى رومية ووكالة المطران تاودورس هو خاص بالبطريرك الدملصاوي .

وأضاف الاب العنيسي الى هذه الوثيقة ملاحظة (١) قال فيها :

(ان المطران اسطفان عواد اذ لم يجد في سلسلة البطاركة للدويهي بطريركاً باسم ارميا الا ارميا العمشيتي نسب هذه الكتابة اليه وغلطه بوضعه التاريخ بمائة سنة فقط كما هو مذكور في كتابه فهرس الكتب الشرقية الموجودة في المكتبة الماديشية في فيرنسه . وتبعه جمهور المؤرخين . اما الان فمن نشر الاثر التاريخي الآتي ذكره الذي وجدته انا قد زال الاشكال وهذه ترجمته (٢) في ٢٦ شباط سنة ١٢٨٢ في قلعة نفين (٣) القريبة من طرابلس اجتمع امير

---

(٢) نشر الاب العنيسي في مجموعته للوثائق المارونية عدد ٢٨ صفحة ٢٩ هذه الوثيقة بنصها اللاتيني نقلاً عن مجموعة روهر بخت في مملكة اورشليم اللاتينية ص ٣٧٥ وبنصها الفرنسوي نقلاً عن تاريخ دماس لاتري مج ٣ ص ٦٦٢

(٣) الاصح أنفه بقرب شكا جنوب طرابلس وكان الصليبيون يدعونها Nephin وقد سماها الادريسي أنف الحجار وهي بشكل الانف داخلة في البحر راجع كتاب راي عن الافرنج في سورياص ٣٧٠ E. Rey, Les Colonies Franquesen Syriə

انطاكية وأمير طرابلس والشهود الموقعون في ذيله وصرحوا قائلين ان غويدن صاحب جبيل (١) بتهييج معلم الهيكل غوُيلم دي بوجويك (٢) حاول ثلاث مرات الاستيلاء على طرابلس لانتزاعها من يد امير انطاكية (٣) وبين الشهود الموقعين على الصك ورد اسم بطريرك الموارنة هكذا (الاخ ارميا بطريرك الموارنة (٤) والاخ ابرهيم رئيس اساقفة عرقا ويوحنا رئيس اساقفة رشعين (٥) :

فهل غويدون هذا أوغي هو امير جبيل الذي اوفد البطريرك ارميا الى رومية ؟ نحن في شك من ذلك لانه لا يعقل ان يهتم بامر البطريرك الذي وقع ضده . فضلاً عن اوصافه في هذا الصك لا تطابق ما قاله ابن القلاعي عن امير جبيل موفد البطريرك ارميا. فقد اثنى عليه كثيراً ونوه باستقامته وغيرته على الديانة القويمة وقال انه (مات في اجله) اي بشيخوخة صالحة باراً مقلداً في الايمان .

---

(١) Guidonem dominum de Gibelet وبالفرنساوية Guyde de gebelet

(٢) Guillaume de Beaujuec (٣) لبثت طرابلس في يد الصليبيين حتى سنة ١٢٨٩

(٤) Frater Jeremie Patriarcha Maronitarum وبالفرنساوية Lénnorable pere frere Jeremie patriarche des Maronins

(٥) Resshyn بقرب زغرتا وكانت مركزاً لابرشية زاوية رشعين راجع الدويهي صفحة ٣٧٢

ونرجح ان امراء الصليبين والاساقفة الذين اجتمعوا في انفه نزعوا ولاية جبيل عن الامير اغي المذكور لتعديه على طرابلس وعهدوا بها الى امير آخر يثقون باخلاصه . والا لا معنى لاجتماعهم وكتابتهم المحضر الانف الذكر ضده . ولا بدّ انهم أنزلوه بعد ان تغلبوا عليه لان أنفه واقعة بين طرابلس وجبيل وكان عليهم ان يمروا بها في طريقهم من طرابلس الى جبيل . هذا اذا قصدوا باسم Gibelet جبيل اللبنانية ، وهذا الارجح لقربها من أنفه وطرابلس ، لا مدينة جبلة السورية الواقعة بين اللاذقية وطرطوس

ومهما كان من امر هذا الامير فقد ثبت من الوثائق التي اوردها الاب العنيسي ان البطريرك ارميا الدملصاوي غير البطريرك ارميا العمشيتي وانه سافر الى رومية حوالي سنة ١٢٨٢ بناء على رغبة أمير جبيل والشعب موكلاً عنه المطران تاودورس

بقي علينا ان نتحقق من شخصية لوقا البنهراني ، الذي على زعم ابن القلاعي ، كان بطريركاً على الموارنة ومال الى بدعة اليعاقبة مع قسم من شعبه فاضطر امير جبيل والثابتون من الموارنة على طاعة الكرسي الرسولي أن ينتخبوا البطريرك ارميا مكانه ويوفدوه الى رومية لاسترضاء الحبر الاعظم على الطائفة وحل الواقعين من ابنائها في حرم المرطقة .

وقد رد الدويهي زعم ابن القلاعي بادلة وشواهد كثيرة (١) ذكرنا لك بعضها ، اخصها ان البطريرك العمشيتي سافر بناءً على دعوة البابا زخيا ٣ لحضور المجمع اللاتراني لا تلبية لرغبة الامير جبيل في استمداد الحل من حرم الهرطقة (٢) وقد أيد الاب العنيسي قول الدويهي بنشر (٣) نص الدعوة التي ارسلها البابا زخيا المذكور الى العمشيتي في ١٣ نيسان سنة ١٢١٣ ، وجده في خزانة كتابة اسرار الكرسي الرسولي في السجل الخاص بالبابا زخيا ٣ (٤)

اما سلف البطريرك ارميا الدملصاوي فلم يكن لوقا البنهراني بل دانيال بطرس الحدشيتي الذي تولى البطريركية من سنة ١٢٧٨ حتى وفاته في دير ميفوق سنة ١٢٨٢ وهي السنة التي انتخب فيها الدملصاوي بطريركاً والثابت من الوثائق التي لدينا ان دانيال الحدشيتي هذا كان حياً من سنة ١٢٧٩ حتى سنة ١٢٨١ . فقد ذكر الدملصاوي في حاشيته السابق نشرها انه (ارتسم من يديه المقدستين مطراناً على دير كفتون في سنة ١٢٧٩) وقد وجد الدويهي (٥)

---

(١) رتبها في ص ٣٥٨ — ٣٨٠ (٢) الدويهي ص ٣٥٩ — و ٢٨٠ (٣) مجموعة البراءات المارونية عدد ١ ص ١ (٤) مج ٨ ص ١٤٢ (٥) ص ٢٧٤

حاشية اخرى علقها القس يوحنا الراهب من قرية حجولا في نهاية كتاب تقديس الميرون هذا نصها « وكان النجاز منه في سنة ١٥٩٢ لليونان (١٢٨١ م) في ايام الاب المختار البطريرك دانيال من قرية حدشيت »

ولا يمكننا الاقتراض ان البطريرك دانيـال توفي في سنة ١٢٨١ فخلفه لوقا البنهراني ولمـا مال الى البدعة حط واقيم مكانـه البطريرك الدملصاوي سنة ١٢٨٢ . اولاً لان ليس هنالك مـا يثبت وفاة دانيال الحدشيتي في تلك السنة ، ثانياً لان الحوادث التي جرت على زعم ابن القلاعي ، في عهد بطريركية لوقـا البنهراني تتطلب برهة لا تقل عن عشر سنين . فقد ذكر اولاً الانشقاق المذهبي وهو لا يعم بسرعة

وقال ان الحبر الاعظم لما علم به أرسل قصاداً يعظون المخالفين وهذا لا يصير في اقل من سنة وان البطريرك لم يقبلهم لميله الى المبتدعين فعظم الشر وانقسم اللبنانيون الى (غرضين وبنوا برجين) حتى اذا سمع الملك الظاهر بتفرق كامتهم جرد العساكر على كسروان فحاصره سبع سنين حتى تمكن من اجتياحه

ولما رأى أمير جبيل البلاد آئـلة الى الخراب مـن جراء الانقسام في المذهب استدعى البطريرك ارميا واوفده الى رومية .

كل ذلك يفتح امامنا مجالاً واسعاً للبحث لكنه يدعونا الى الظن بان البطريرك لوقا البنهراني ، اذا صح وجوده ، ولا يعقل ان يخلقه ابن القلاعي من مخيلته ، هو كما سبق القول ، كنوح البقوفاوي ، أحد بطاركة السريان اليعاقبة في لبنان ، وكان لهم بعض التباع من اللبنانيين لاغراض اكثر حزبية منها دينية . ولعل الايام تكشف لنا عن وثائق ، غير التي ظهرت حتى الان ، تساعدنا على اثبات هذا الرأى .

ولنعد الان الى نص الزجلية ومختصرها

المحرر

٧ – الشدياق الكاشف

(ومن بعده بثلاثة سنين (١) تنيح امير جبيل وتخلف بعده ابنه يوحنا لانه كان صغيراً في العمر توكل تدبيره المقدم باخوس حاكم الجبال (٢) فلم يوافق اهل جبة بشري ٣ لان بدعة يعقوب كانت دخلت في كثير منهم وافتتنوا واقاموا عليهم اميراً كان من مقدمي لحفد وساموا لهم اسقفاً يخصهم وكان البطرك يومئذ يسمى دانيال اصله من قرية شامات راهب من رهبان وادي علمات وله في قرية رامات قرايب فأخذوه الى عندهم لعظم الفتن واسكنوه

(١) لا نعلم من اين جاء صاحب المختصر بهذا التاريخ
(٢) اي مقاطعة يعني بكلمة جبال
(٣) الاصح المنيطره كما ورد في الزجلية

قربهم في دير مار قبريانوس كفيفان (١) سنة (٢) واستقام الانشقاق ثايراً في بلادي جبيل والبترون زماناً »

« اما ما كان في الجبة هو ان احد الملوك (٣) كان هارباً بالخفاء من وجه مملكته اتفق عبوره بوادي قديشا اي القديسين ومال عند احد الرهبان الساكنين فيه فاضافه الراهب ونيحه (٤) من غير ان يعلم من هو وأظهر له حباً واكراماً . وبعد ايام اعيد الملك الى كرسيه وذكر محبة الراهب له واحب ان يصنع معه معروفا فامر ان يبنى في ذلك الدير كنيسة كبيرة وهو الدير المعروف بقنوبين (٥) واجزل عليه الانعامات .فسمع لهذا الخبر بكل مكان واقبل بسبب الاحسان الواصل من الملك كثير من الرهبان تسكن في الوادي منهم اقباط في دير الفراديس الذي في قرية بان (٦) سنة ١٢٤٢ ، كانوا في الظاهر رهبان وفي الباطن اشرار

---

(١) انتخب سنة ١٢٣٠ وتوفي سنة ١٢٣٩ وشامات من اواسط مقاطعة جبيل فيها اثر كنيسة قديمة ترجع الى عهد الصليبيين . اما وادي علمات فهو في اسفل طورزيا من مقاطعة جبيل ايضا . ودير كفيفان ما زال قائما حتى الان وهو من مقاطعة البترون

(٢) لا رقم بعد كلمة سنة

(٣) لعله احد سلاطين مصر وسوريا وقد يكون لمجيء المصريين الى لبنان ولبسهم الزي الرهباني علاقة بهذا السلطان

(٤) اي اراحه

(٥) مركز البطاركة الموارنة من اواسط القرن ١٥ حتى اواخر ١٩ ويرجح تأسيسه على الارجح الى القرن الرابع وقد يكون ترميمه في القرن ١٣ قد تم على يد السلطان المذكور

(٦) من قرى لبنان الشمالي قبلي اهدن

عددهم اربعين نفراً (١) وصار لهم دالة والفة مع سكان الجبة . واخيراً انكشفت احوالهم انهم فسقة قتلة سراقين واعلموا مقدم بشري بكرهم فاتاهم ليلاً مداهمة واطلع على خبثهم وقتلهم كافة . ومنذ ذلك الحين تعاهدوا اهالي الجبة بانهم لا يساكنوا أراتيكي (٢) ولا كافر واقاموا عليهم حاكماً ورقيباً في ذلك المقدم المذكور وكنّوه بالرقيب وكان شدياقاً (٣) سنة ١٢٥٠ واكمل عمره باستقامة الايمان والاعمال »

ملك جبيل مات في أجله (٤) وحزنوا الموارنة من أجله ولا (٥) قام بعده ولاقبله
بار مقلد في الايمان

ابن صغير خلف بعده دهنوه ملك كرامة والده المقدم باخوس كان عضده
يدبر وينفق على الفرسان

جبة المنيطره افترقت مع الملك لبس التزقت ومع اهل لحفد اهترقت
وعملت مقدم مع مطران

---

(١) ما زال سكان هذه الجوار يسردون حكاية هولاء اللصوص ويحكون انهم كانوا يسمرون نعال خيلهم مقلوبة ليخفوا جهة مسيرهم . وبقرب عين السنديانه فوق طرزا وعلى مسافة ساعتين من الحدث والفراديس مغارة منيعة في اعلى الجبل قد سد مدخلها بقنطرة تعلوها كوة بشكل صليب يقال ان اللصوص كانوا يختبئون فيها .

(٢) لان الاقباط من مذهب اليعاقبة

(٣) يسميه ابن القلاعي : الكاشف وهو جد شدايقة جبة بشري

(٤) تكرم علينا حضرة القس طوبيا العنيسي بنسخة من هذه الزجلية وجدها في مكتبة الفاتيكان فباشرنا مقابلتها مع نسختنا ابتداء من هذا المحل وسنشير اليها بحرف ف

(٥) عن نسخة الفاتيكان وقد سقطت في نسختنا

والبطرك كان من شامات ترهب في وادي علمات وكان له قرايب في رامات
اخذوه يسكن فوق كفيفان

وادي على نهر قديشا سلطان عابر يتمشى عزمه راهب يتعشى
تعجب من حيوة الرهبان

اعطاه الله في تلك الحين رجع لكرسيه مثل السلاطين بعت مال(١) وأبنى قنوبين
تذكار الى احسان الرهبان

أنعم ذلك السلطان واعطى فرمان (٢) للرهبان ان من يسكن في الشقفان(٣)
يعمر من مال السلطان

في ذا السبب اتعمر الوادي وعملوا صلح مع الاعادي وطلبوا السكنى بالزادي
اخدوا الفراديس في ارض بان

ولبسوا المسح مع القوسال(٤) في زي ابليس المحتال صار عددهم اربعين رجال
والبلاد معهم في اطمان

وكان معهم سراً مخفي يكون احدهم في السلاح مكفي وعن نصراني (٥) لا يعفي
وعملوا موضع للنسوان

الله ذلهم (٦) لمن هو عالم واكشف أسرار ذا الظالم وجاه النصر من الحاكم
بليله اكشف(٧) ذا الطغيان (٨)

---

(١) وفي نسختنا: وبعت وانعم وابنى
(٢) مربعه ف
(٣) الكهوف
(٤) الاسكيم
(٥) لعل هذا يدل ان اللصوص كانوا من غير المسيحيين
(٦) ع ن ف
(٧) ف : اطفأ
(٨) نأخذ عن نسخة الفاتيكان ما جاء هنا عن المقدم بولس والامير مسعود وخراب الحدث حتى "قوله" وصل خبرهم للسلطان " لان هذه الاشعار السبعة قد سقطت في نسختنا ولعل محلها في غير هذا المكان

المقدم بولوس والاميرمسعود ما قام مثلهم في الجود خرجوامن الحدث بدرع مكمود
ابطال دخلوا في الميدان

وأفنـوا عسكر الاسلام وصلت اخبارهم للشام سبع سنين حاربوا الاسلام
وصل خبرهم الى السلطان

من ابريسات (١)قدجا واحد لطَيّا (٢) ولهم أوعد علي بأكم وأخـد
هذه القرية في اطمنان

خلموا عليه ووعدوه في مال وعلموا (٣) من ذاك المحتال دخل لاشبينه (٤)في المقال
تمكن فيه روح الشيطان

وطاع لاشبينه في مقاله والنار علقت في ابدانـه طاع وطـاعت جيرانـه
رجال القرية والنسوان

ودخلوا اليهم في اطمنان وذبحوهم ذبح الخرفـان ولا تركوا منهم انسان
الرجال والنسا والصبيان

ومن تاك الان الحدث خربت الفين وسبعمائـة كانت وسبع سنين الاسلام حاربت
وصل خبرهم الى السلطان (٥)

واقاموا مقـدم في بشري على الديارى والنهري (٦) ضد الطغيان والمصري
يقيم حراس ويكون سهران

---

(١) بين حدث الجبة والديمان
(٢) بني طي اي العرب المسلمين
(٣) في الاصل — وعلمه
(٤) هل يعني المقدم ؟
(٥) ذكر الدويهي خراب الحدث في سنة ١٢٨٣ راجع الوثائق التي اثبتها عن هذا الخراب في تاريخه صفحة ١٤٥ - ١٤٦ في تاريخ الازمنة
(٦) نهر قديشا والديورة التي كانت فيه

وحلفونه وأعطوه السيف   انه لا يقبل مصري ضيف   وسلطانه من الكيف للكيف
يأدب في سيف الايمان

من قرن حردين الى قرن أيطو (١)   يكون حاكم ونافدخطه   وبيته واصله يتوطوا
ان زاغ عن شرف الايمان

ويكون محروم مع نسله   متى زاغ عن شرف عدله   ويكون مبارك هو واصله
ما دام في طوع الايمان

ومسلم لا يخدم عنده   وهرطيقي لا يسكن بلده   وهو لا يخرج من حده
ويجهر سيفه أين ما كان

وقصاد لاصطنبول يبعث   ويطلب ثباته اذا احدث   مؤبد يكون كاشف يبحث
على الكهنة والرهبان

ومن يوجد انه هرطيقي   يذيقه الموت بشر الضيق   يأدب الخاطي والصديق
في امر الزايغ عن الايمان

حاكم بدبوس دنياني   وبعصاة شديق روحاني   طايع الاسقف وسلطاني (٢)
بشرف الكنيسة والايمان

اقتبل منهم اسم الكاشف   وسيف العز عليه حالف   وفي حياته ليس خالف
ولا انجهر على اياه طغيان

٨ — سقوط طرابلس وجبيل

« مات وتخلف بعده ابنه وكان يسمى سالم لكنه لم يشابه ابوه بل كان ظالماً قاسياً مفرطاً بالطمع وحب الفضة ولذلك كان يحمي

«١» حردين قرية في اعالي البترون وأيطو شمالها غربي اهدن «٢» عن نسخة . ف
وفي نسختنا : وسطاني ولله يريد وسلطانه .

من يحتمي به أي مـن كان من غير افراز طمعا بالكسب الدنيوي .
ومن هذه الجهات صارت الاراطقة تقصده ويسمح بسكناهم في البلاد .
ولمعاشرتهم له جذبوه الى سوء معتقدهم اليعاقبة لانهم كانوا من صدد (١)
وكان اناس ايضا من نواحي حوران ومسقومين بسقم الملكيـة (٢)
وهؤلاء سكنوا قرية أدنيت وفرغوا سمهم فيها . تقمقم البلاد لعدم
تمييز المتدم وتجنبوه وأظهروا له البغض وتخوفه منهم اختص بجماعة
اليعاقبة ومن قال قولهم . ثارت نار الفتن في الجبه كما هي في بلدي
جبيل والبترون وبلغت اخبارهم الى الشام . واستبشرت الاسلام بافتتاح
طرابلس العاصية بحمايـة الجبال ، وأرسلوا العساكر حاصرها ستة اشهر .
وفيما هم بمثل هذا الحال نزل اليهم راهب كان يسكن في مـار اسيا
تحت حصرون (٣) وبشرهم بانهم يفتحون المدينـة في غرة شباط
فوعدوه ان تم قوله في هبات جليلة . وصار كما قال وظفروا بالمدينة
وجعلوه من ارباب المشورة واكرموه »

« فوقع الخوف على يوحنا امير مدينة جبيل ولما بلغه قدوم عساكر
الاسلام نحوه نزل مع اهل مدينته في السفن واقلعوا في الليل . وعند
الصباح وصل العسكر الى المدينة فوجدوها خالية وأبوابها مقفلة

---

(١) يقال في حلب حتى الان : سرياني صدي اي يعقوبي
(٢) الروم الارثوذكس
(٣) ما زالت آثاره ظاهرة في وادي قديشا

فكسروا الابواب ودخلوا ولم يجدوا شيئا سوى الحيطان »

وقـام بعده ابنه سالم مقـدم في خلق صارم طماع محب للمال ظالم
جفت (١) منه البلدان

ليس اقتنع جوّا وحده صار يخرج في غير بلده من جا اليه حماه عنده
انجهر سره للجـيران

استولش(٢)من سمع خبره انه ليس ياخذ حذره داسوس من المشرق(٣)غدره
وارماه في جب الطغيان

وجامن ناحية اخرى ضربه ناس من حوران سكنوا العربه(٤) والموت(٥) جابوه في قربه
وسكبوه في جبل لبنان (٦)

رزايا يعقوب في الجبه ورزية الروم في العربه المقدم تحت حروم صعبه(٧)
لاجل الوظيفة و الحلفان

وكل الشعب ثبت ضده ومن الطاعة حاّون جنده(٨) وصار مخزي محروم وحده
يتاطى مع قوم سريان

---

(١) ضجت

(٢) لم يكترث

(٣) يعقوبي

(٤) ما زالت معروفة بعربة قزحيا غرب الدير المشهور

(٥) سم الضلال

(٦) على اهل جبل لبنأن ف

(٧) هنا تبدأ نسخة الخوري بطرس غالب فنبدأ بمقابلتها على النسختين اللتين بيدنا ونشير اليها بحرف غ

(٨) هذا يدل على ان الجنود كانوا يقسمون يمين الطاعة لقوادهم

صمموا في الحروم الاسلام وكانوا عساكرهم في الشام جوا (١) الى طرابلوس قوام
و لا وقف قدامهم انسان

ملك جبيل خاف على بلده مقدم بشري الشر قصده حاكم طرابلوس صار وحده
منعهم يقربون (٢) للحيطان

ثبتوا يحاصروا في الاسوار ست اشهر كشفوا الاسرار ان الله لاجل الاشرار
يعطي طرابلوس الى حمدان (٣)

قسيس جاهم من مار اسيا واخبرهم بكل الاشيا في سوباط (٤) تموت الاحيا
بسفك الدم من سيف حمدان

فرحوا فيه وقوّوه في الوعد ان كان يصدقهم في السعد و اعطاهم اشارات في الرعد
صدق معهم واخذوا البلدان

و عملوا صحبه مع القسيس و عملوه ديوان على الكيس (٥) وأصلوا به اشراك ابليس
تجيه الهدايا مع الفرسان

الملك يحنا منهم تفزّع وصار يخدمهم في الضباع كل فارس يعطيه اقطاع
تعرت جبيل من البلدان (٦)

عرف الملك ان يأتيه ويل هيّا المراكب بجنح الليل واوسقهم من اهل جبيل
شال الناس مع الحيوان

جو المسلمين على غفله وجدوا الابواب منقفله والنار في البيوت منشعله
ولا صامد غير الحيطان

---

(١) جاروا
(٢) ينقبون ف
(٣) المسلمين
(٤) شباط
(٥) امين الخزنة
(٦) وفي نسختنا : وهو دايم مرتاع فزعان

ملاحظة

روى ابن القلاعي في زجليته ان سلطاناً مخلوعاً مرَّ متخفياً بوادي قديشا فاضافه الرهبان ، ولما استعاد الملك ارسل مالاً فبنى لهم دير قنوبين وتبرع لمن يرغب في سكنى الوادي من الرهبان بان يعمر من خزينته الملكية وقلنا تعليقاً على ذلك « لعله احد أحد سلاطين مصر وسوريا » . (١)

وفي تاريخ الدويهي (٢) حكاية منقولة عن ابن سباط ملخصها ان الملك الظاهر برقوق ، لما غلب على امره في سنة ١٣٨٨ م ، هرب بزي درويش الى لبنان ومرَّ ببشرّي حيث اقام الشدياق يعقوب ابن ايوب مقدماً وكتب له صحيفة من نحاس . ثم نزل دير قنوبين حيث أحسن القس بطرس رئيسه ضيافته فسلمه صكاً عفى به ديره من المال الاميري وجعل له التقدم على ديورة تلك الجهات . وهذه الحكاية واردة ايضاً في تاريخ الامير حيدر (٣)

وقد كتب لنا احد القراء ، ولفت نظرنا غيره ايضاً ، مستغربين اغضاءنا عن تطبيق هاتين الروايتين وشرح الاولى بالثانية ، زاعمين ان الدويهي أشار صريحاً الى ان الملك الذي قصده ابن القلاعي هو الملك الظاهر برقوق عينه

---

(١) راجع المجلة البطريركية صفحة ١٦١ من جزء اذار الاخير
(٢) صفحة ٣١؛
(٣) صفحة ٥٠٤

فنجيبهم ان هذا التطبيق خطأ وإن قصده الدويهي . لان في الروايتين اختلافاً في التاريخ والتفاصيل . فابن القلاعي يشير الى حادثة وقعت قبيل سقوط طرابلس للمرة الاولى في ايدي المسلمين عقيب وفاة اميرها بيومند سنة ١٢٨٧ . بيد ان خلع الملك برقوق جرى في سنة ١٣٨٨ والفرق يزيد عن مئة سنة .

ومن كلام ابن القلاعي ومما جاء في مختصره نستنتج ان الملك المذكور انحدر الى وادي قديشا متنكراً فضيفه الرهبان من غير ان يعرفوه ، وانه بعد استرجاعه الملك ارسل لهم مالاً فبنوا به دير قنوبين ووعد بالنفقة على من يبني منهم في الوادي . اما في رواية ابن سباط فالملك قد اظهر نفسه وسلطته في بشري بتنصيب الشدياق يعقوب ، وفي دير قنوبين باعفائه من الاموال وتسليم رئيسه عهداً بخطه

ولنعد الان الى الزجلية ومختصرها .

٩ – انتصار المقدمين

« فاما اهل الجبال فغاروا غيرة الدين وجمعوا ثلاثين الف مقاتل وضعوا منها الفين في وادي الفيدار والفين في وادي المدفون (١) والباقي انصبُّوا نحو الاسلام كالسيل الدافق والا لقاهم الويل (٢)

---

(١) ينتهيان على شاطىء مقاطعة جبيل

(٢) وفي نسخة بكركي : والقوا بهم الويل

وهاجت المقدمون هيج الابطال . منهم خالد مقدم قرية مشمش (١) واقتحم قايد عسكر الاسلام وقتله بسيفه . ومثله باقي المقدمين كانوا يزأروا كالسباع الكاسرة ويفتكوا بمن اقترب ويدركوا بمن هرب . ولم يزالوا في طعن وصدّ وأخذ وردّ وثغر وسد الى ان صادموا صور المدينة فثغروه ولحقوا الذين داخلها بخارجها وتركوها خربة . والذين انهزموا ولم يلحقوهم فوقعوا بيد عسكر الفيدار والمدفون . وهكذا افنوا عسكر الاسلام بالتمام . ثم وافت نجدة من طرابلوس فلقاها عسكر وادي المدفون واوقعهم عند وادي الزلاّن وصار قبرهم الى الان . ثم افتقدوا المقدمين بعضهم فلم يجدوا قتل منهم سوى مقدم حردين فدفنوه واخذوا الغنايم وصمدوا اقترعوا عليها في بقعة قرية معاد (٢) وقسموها ثلاثين قسمة لثلاثين مقدم . وكان لسالم مقدم بشري قسم من جملتهم فارسل البطرك يمنعهم عن أن يعطوه قسمه لانه يعقوبي المذهب وحكموا بان يقام مقام سالم مقدماً اخر رقيب على الامانة وكان اجتماعهم في قرية كفرحي (٣) »

مقدمين الاجيال سمعوا دقوا النواقيس واجتمعوا في المدفون والفيدار اقترعوا
بالفين مع الفين سجعان

ثلاثين الف نزلوا عسكر من الاجبال ذي الامطار وحمدان (٤) خارج يتخطر
لقى الموت حاضر في الميدان

---

(١) من اعالي مقاطعة جبيل وفيها عثرنا على مخطوطتنا
(٢) فوق جبيل شمالها
(٣) من اوسط مقاطعة البترون كانت مركزاً للبطاركة الاولين
(٤) قائد جيش الاسلام

اول من فيه تبلش[1] المقدم خالد من مشمش أخذ راس حمدان كان راس باش
وطرحه في وسط الميدان

سنان وسليمان من ايليج[2] دخلون في عربر وعجيج زي السباع التي بتهيج
بسيفين (٣) دخلون الميدان

وعملوا في زي الحصاد واحد جاب والاخر أخذ[4] والنار تقدح من البولاد
والروس[5] طايره في الحيطان

سعاده وسركيس من لحفد بحصان ابيض وحصان اسود وخاضوا في الدم الجامد
صبغهم في زي القطران

عكار[6] مع اخوه مسرور طاحوا الخندق ونقبوا الصور وفتحوا الابواب بغير دستور
وقتلوا الحراس والاعوان

والذين هربوا تبعوهم والذين ثبتوا ذبحوهم ولا فاز من بين ايديهم
ولا خلص (٧) منهم انسان (٨)

وتركوا جبيل وعره وقفره ولامن يكتب ولامن يقرا وكل الكنايس منهجره
ولا ناقوس ولا صلبان

اما المقدم بنيامين الذي أصله كان من حردين هناك قتلوه المسلمين
وحده قتل من السجعان (٩)

---

(١) بدأ

(٢) من جرود جبيل حيث دير ميفوق الان

(٣) كسبعين ف

(٤) اي بد تحصد وا لاخرى تجمع

(٥) والروح غ

(٦) عكر ؟

(٧) وفي نسختنا : ولا خلو

(٨) وجاء في تاريخ الدويهي صفحة ١٢٤ وقتل من امراء التنوخية نجم الدين محمد واخوه شهاب الدين احمد ولدا جمال الدين حجي

(٩) وغيره لم قتلوا انسان ف وغيرهم ليس مات من الشجعان غ

لاجله ليس رفعوا سنجق(١) في القصر(٢) ولاطابوا الاخلاق الى ان وجدوه في الخندق
وقبروه في باب الاركان

والذين كانوا على الفيدار جوهم الاكراد في عسكر وليس عرفوا ان احد على النهر
وليس خلص منهم انسان

وجابوا سلاحات الاكراد وجاوا في سناجق على الاجواد وجدوهم على اكل الزاد
والعسكر مسرور فرحان

والذين كانوا على المدفون اخذوا سلاح الذين هربون وفي الليل دخلون للبترون
وجدوا النصارى في اطمان

وفرحوا وارتهجوا جدا ورجعوا بسرعة على الاعدا وجدوا مواطيهم (٣) نجدا
طرحوم بوادي الزلاّن

وهوذ (٤) العسكر قاصدهم يفتش عليهم وبذيهم وعرفوا سنجق صحبتهم
صليب والسيف تحته عريان

أخبرهم عن حال البترون وعلى كفركدّه(٥) طاعون وفي وطا معاد اقترعون
عن المغانم والاحسان

اربعة الاف راس خيل اخدوا وسلاح ورماح ليس بنعدوا وخوذات ولبس كتير وجدوا
الذهب و الفضه في الميزان

قسموا الجميع بين ثلاثين الف كل مقدم اخد له صنف ثلاثين مقدم قدام وخلف
غير الساقط بالطغيان (٦)

---

(١) بيرق
(٢) سنجق النصر ف
(٣) وجدوا ما فيهم نجدا ف
(٤) وفي نسختنا : وهذا
(٥) من قرى اواسط جبيل
(٦) مقدم بشري الذي تبع اليعاقبة

اول جعلوا له قسه وصى البطرك في كمه ان لا يوصل اليه نعمه
لانه ساقط عن الايمان
مقدم العاقوره عنتر قال آخر غيره يحضر والبطرك غيره يختار
ويكون كاشف على الايمان (١)
ارتضوا الاخوه في نطقه وبعتوا للبطرك حقه وفي كفرحي (٢) وقع وفقه
بجمع صارخ وحضور برهان

١٠ — المقدم نقولا

« وفيما هم بالخطاب واذا بغلام يقول نحو البطرك بلغة سريانية « نقولا منحدر في عقبة حيرونا (٣) قاصد قدسك هو يكون المقدم والرقيب» فبهتت الجماعة لقوله فسأله البطرك مَن هو هذا نقولا وابن مَن فاجابه الله يعلم مَن هو. فقالوا لعلها آية، وصاروا كالمنتظرين خبراً فوافاهم الخبر، أن شرذومة من الاسلام كانت تغزو على نهر رشعين (٤) فالتقاهم نقولا وحده فقتل منهم عشرين رجل. وفيما هم يتكلمون وصل نقولا ومعه من الغنيمة أربعة من الخيل قدموها للبطرك ثم أحكى له حلماً احتلمه في الليل وقال: فيما أنا نايم رأيت رجلا يقول لي: « نقولا قم اهتم في أهل جبل لبنان الاشرار » هو ذا أنا قدامك يا سيدي ان رسمت فاني أشاء أن اطهر الجبه من زرع سالم الفسود وأرطقة اليعاقبة. فحن

(١) يقول الدويهي في تاريخه صفحة ١٢٤ واما عنتر فقصد الطمع على رفقائه واذ لم يعتبر ويتعظ حرمه البطرك فمات في اليوم الثالث . ولا نعرف الى اي مصدر استند الدويهي في هذا القول

(٢) هذا يدل على ان المقدمين المتنصرين اجتمعوا في كفرحي برئاسة البطريرك الذي كان مرجعهم الاعلى

(٣) في شمال لبنان اشتهرت بعدة مواقع

(٤) شمال زغرتا يمر باسفلها

كلامه في مسامع البطريرك والجماعة وأقاموه مقدماً وقلدوه الحكم على الجبه (١) والنظر في أهلها بالايمان وأوهبوه نصيب سالم المرذول . ورجع لوقته يحارب عن الجبه وكان دخوله في الليل فعرفت به الاراطقة فانهزموا من قدامه ونضفت البلدة من البدع والانشقاق . وصار هدو وسكون بليغ في الكنايس كلها وتمكنت العبادة ونمت القداسة لا في الجبه فقط بل في بلدي جبيل والبترون أيضاً . واستمروا مقبلين بحسن العيش وبصحة الامانة أرجح من اربعين سنة »

نطق طفل في لغة سريانا قال نيقولاوس قنطرونا (٢) نازل بعقبة حيرونا
قاصد قدسك في ذا الان

سمع البطرك واستأله (٣) ابن من هو وايش هو اصله قال الذي اختاره وأرسله
يعلم ايش هو الانسان

لما من الطفل اختبروا خلوا الاصوات واصطبروا هوذا نقولا جا خبره
انه مبرز في الميدان

طايا (٤) على نهر رشعين وجدهم نقولا منتشرين وحده قتل منهم عشرين
وجا للبطرك راكب حصان

وقدم له اربع روس خيل وقال جا من نبهني بالليل وقال قوم أدب هذا الجيل
المفسد في جبل لبنان

وجيت انا اشاور قدسك نظرت الاعدا في حلسك (٥) عرفت الخيل ايس هو فرسك
انتصرت عليهم في الايمان

والمكسب انا جبته ليك (٦) وهوذا خاضع بين يديك وهذا السر هو مني ليك
اعطني من قدسك سلطان (٧)

---

(١) وفي الدويهي صفحة ١٢٤ « وعهدوا اليه من كهف حردين الى كهف ايطو »
(٢) قائد مئة من اللاتينية Centurion
(٣) سأله (٤) كلمة سريانية معناها بنوطي ويمني بهم المسلمين
(٥) بجانبك «٦» اليك «٧» هذا يدل على ان البطريرك كان يولي مقدمي الشعب

انضف ما زرعه سالم واقلع نسله العادم واكون قدام قدسك خادم
بسيف الطاعه والايمان

صلوا عليه واعطوه السيف ودركونه من الكيف للكيف واعطوه نصيبه بتكليف
يمطي رفاقه أين ما كان

نزل وحده بجنح الليل رجع لبشري باربعين راس خيل الهراطقه حسوا بالويل
هربوا من جبل لبنان

الاسلام منهم فزعوا والهراطقه عنهم ارتجعوا .المقدمين بالاتحاد ارتفعوا
واطمنوا في جبل لبنان

وكثرت عليهم الارزاق وانحلات عنهم الاوثاق وهديت منهم الاخلاق
وحفظوا الطاعه والايمان

هديت عنهم الضربات وبريت منهم العاهات اقتبلوا البركات والنبوات
وقاموا مواعظ عن الايمان

يقولوا جبل لبنان عالي وله في المكتوب اوصالي وصدقت عنه الاقول
وفيه الانوار والبرهان

الكنايس تجهر فيه الايات وكما قالت عنه النبوات وفية العلما والسادات
وهو مزهر زي البستان

وقام منه جبل قديسين وتعمر وادي قنوبين تقولا كاشف في ذا الحين
على الايمان فاحص سهران

وفي البواليع(١) جبسا وسياح في الديوره رهبان تفرح وبتولات زي الصباح
سكنوا المغاير والشقفان

اربعين سنه حملت واكثر حطوا ابليس في المحشر وصار لهم في روميه دفتر
واسم عالي جبل لبنان

احمى من الاسلام ذاته الله ناصر ساداته فاحت عطور صلواته
مقبوله بحفظ الايمان

---

(١) شقوق الارض (وادي البواليع على مقربة من شامات ومعبادات وحصايل ولحفد)

استدراك — قلنا في الصفحة السابقة في تعليقنا على كلمة « البواليع » انها تعني شقوق الارض . وقد تفضل سيادة المطران بولس عقل النائب البطريركي الماروني على مقاطعة جبيل فكتب الينا « ان ابن القلاعي يريد من لفظة البواليع هنا وادي البواليع وهي على مقربة من شامات وعبادات وهابيل ولحفد . وقد كان الناظم يعرفها كما ترى اليوم وفيها كثير من اثار القديسين والحبساء . خاصة مار انطونيوس ومار سمعان وغيرهما »

١١ — البطريرك جبرائيل من حجولا

« فلم يحتمل الشيطان أن يرام في هذا الحال وأهجس لاحد الحبساء وأقلقه بالضجر وجعله أن يمضي الى جبال ماردين وصدد (١) وأخذ دينهم ومذهبهم وتعلم طقوس كنايسهم وجاء بذلك الى لبنان وكان اسمه اليشاع استحبس في محبسة مار سركيس فوق مار أبون (٢) واندست (٣) مرة اخرى رزية (٤) يعقوب في الجبه

(١) مدينة شهيرة في سوريا الثانية من مقاطعة حمص كانت مركزاً لاسقفية يعقوبية كبيرة والان قرية اهلة بالسريان

(٢) كلاهما كانا بارض الحدث راجع تاريخ الموارنة للدبس صفحة ٢٥٢ و٣٦١

(٣) عثرنا في بكركي على نسخة لهذه الزجلية ومختصرها بخط حديث نظنه للمرحوم المطران بطرس شبلي سنشير اليها بحرف ب وقد صححنا عليها هذه الكلمة الواردة في نسختنا : اندامت

(٤) ب في الاصل راية

بسببه . لكن الرب انتقم منه سريعاً . وذلك انه في بعض الايام بينما كان الخبيث نازلاً من محبسته سقط متهوراً ومات . وأما أهالي الـجبه الذين تبعوه فصاروا يرشوا البطريرك لكي يسكت ولا يصدّهم في مذهبهم . ومن قبل سكوته انقسمت الاساقفة واهل الاكليروس قسمين وحصل نقولا الرقيب معذّبا حائراً ما بين الفئتين . وأما أهالي جبيل والبترون لما عاينوا ما جرى خلعوا طاعة البطرك المرابي (١) لكنهم (٢) لم يتزحوا عن المقدم نقولا الرقيب بل قطعوا كل مواصلة مع اهل الجبه والفة كانت لهم لانهم لم يشاؤوا بانحراف أمانتهم البتة . فلما سمعت الاسلام بانقسام اهل الجبال نهضوا لغزوهم وصاروا يقتلوا ويسبوا ويخطفوا ويتلفوا ووضعوا ايديهم على كثير من القرى . في مثل هذا هاج محفل من اهل الامانة المستقيمة على البطرك ونزلوه عن كرسيه ومات منحطا (٣) واقاموا عوضه راهباً أصله من حجولا (٤) . فتجنت على هذا الاراطقة وتهموه بالكفر والزنا وأحرقوه بالنار ومات مظلوماً » (٥)

---

(١) وفي نسخة بكركي المرائي (٢) من نسخة ب وفي الاصل لكون

(٣) كان يدعى يوحنا ذكر في كتاب نسخ سنة ١٣٥٧ م (راجع سلسلة الدويهي للشرتوني صفحة ٢٨) ويقول العنيسي في سلسلته ص ٢٧ أن خلفه البطريرك جبرائيل من حجولا تولى سنة ١٣٥٧ . وسنبدي ملاحظتنا على هذه الرواية

(٤) من قرى مقاطعة جبيل

(٥) سنة ١٣٦٧ راجع فيه سلسلة العنيسي ص ٢٧ وسلسلة الدويهي صفحة ٢٩ وتاريخ الدويهي صفحة ١٢٩

حسده ابليس وأوصله لاقماع في سبب الحبيس اليشاع تكبر في علمه وارتفع
ومضى للشرق وجاب الطغيان

لاجل العجز منه والغلبه وقطع اللسان شريعه صعبه أنكر ايمانه وجاب رتبه
تحت التقسيم والحلفان

انه بذاته يحفظها ويكرز بها ويعلمها يبدى قبل يقدسها
ويحط الزيت في القربان[١]

وجا زي الديب الجوي لمن كان معهم متخاوي والافعى ليس تقبل حاوي
يرمي السم على الابدان

عن قودشا وعن قديشا[٢] جدف على الروح ولم يخشى نازل من المحبسة يتمشى
تهور وأخذ روحه الشيطان

وقع الوسواس في الجبه وقلت منه المحبه بقت السكنى فيها صعبه
والكاشف معهم تعبان

لان البطرك بلع السم واعطوه البرطيل ملو الفم وارتضى في سفك الدم
بين الاساقفة والعصيان

لان الجبه بديت تبرى والعربه ما تستجرا بلاد جبيل ابني[٣] على الصخره
وثبت قواعد الايمان

مقدم لحفد كان يعدل ورتبه غريبه لم يقبل وصار غرضين في فرد منزل
قسموا الرعايا والعصيان

البطرك عنهم قطعوه[٤] ولاعادوا اعطوه ولاطاعوه ولكن الكاشف ليس منعوه
ولا اقبلوه في البلدان

---

(١) يخلط اليعاقبة قليلا من الزيت بخميرة القربان ولعله كان يدهن القالب الذي كان يحو فا لكي لا يلصق الخبز به

(٢) اي انه في التقديسات السابقة للرسائل كان ينسب التألم للثالوث الاقدس

(٣) يعني بنيت على صخرة الايمان

(٤) قلطوه غ

سمعوا الاسلام وامتدوا وضياع كثير في السيف اخذوا ونصارى كثير لهم ردوا[1]
لاجل الشكوك في الايمان

المقدمين صارت تفزع والاسلام ما عاد ترجع لاجل رزية البشاع
تخلى عنهم الرحمان

لاجل المخالف والاحمار مسلم صار يكسر عسكر ويرعى اليابس والاخضر
اخدوا الاطفال والرضعان

ملكوا كل ماروديّا وكتبوا قطاعات محصيه لاجل ثباتهم في الرزيه
وبعضهم حتى الى الان[2]

ذلك البطرك مات معزولا وقاموا بطرك من حجولا مات شهيداً مقتولا
واحرقونه في النيران

اربعين نصراني شهدوا فيه انه كفر بدين هو فيه قالوا عنه شي ما هو فيه
عن المطالب والنسوان

ولاجله غضب الله اشمل في السواحل والجبال اسلمهم بيد اسماعيل
وزنوا جوالي في ديوان

استعبدوهم وكادوهم[3] وكنايسهم هدموهم الصلبان والقون احرقوهم
ولا عجايب ولا برهان

« وكان غضب الله يتعاظم على بني مارون وذلهم تحت يد الاسلام وادوا الجزية وصاروا كالتائهين والحائرين . وبقيوا في مثل ذلك زماناً الي ان الله ارسل اليهم اومرياكوس راهب من رهبان

---

(١) غ و ف وفي الاصل دادوا

(٢) كان بعضهم ما زال مائلا الى اليعاقبة في عهد ابن القلاعي

(٣) غ و ب وفي الاصل واخذوهم

مار عبد الاحد سنة ١٣٠٥ وأخذ ينذرهم ويوضح لهم ان بلواهم من قبل ارطقتهم فانتبه لقوله كثيرون وندموا عـلى ما فعلوه ورجعوا الى الايمان المستقيم ولعنوا يعقوب ومذهبه الوخيم وقرروا وجوب الطاعة للكرسي الروماني وارسل اومرياكوس اتاهم ببركات من رومية واقاموا لهم بطركاً وأساقفة مستقيمي الراي (١) . واسكنوا البطرك في سيدة هابيل وكان يسمى يوحنا اللحفدي (٢) . وبقيوا بحسن الامانة الى أيام البطرك يوحنا مـن قريـة جاج (٣) وتنيح بسلام »

افتقدهم واطفى تلك النار اومريـاكوس له تذكار ونجاهم في كلام مجهر
وطاعوه ورجعوا للايمان

واصطادهم في الشبكه وجاب لهم من روميه بركه وقاموا لهم راس في ابكه[4]
ورسموا[5] لهم بطرك ومطران

سكن البطرك سيدة هابيل[6] وكان حافظ ما في الانجيل أيضاً[7] كان عالم وفضيل
يكتب ميامر عن الايمان

---

(١) سنقول كلمة في اومرياكوس المذكور وقد كتب اسمه اومريكوس في نسخة الفاتيكان

(٢) ١٣٦٧ — ١٤٠٤ ويقول الدويهي انه كان يدعى داود . راجم تاريخ الدويهي صفحة ٣٨٥ وسلسلته ص ٢٩ وهو غير يوحنا اللحفدي صاحب الناقور المعروف باسمه الذي انتخب سنة ١١٥٠ راجع العنيسي ص ٢٨ و ٣٧

(٣) ١٤٠٤ — ١٤٥٤

(٤) وفي ف ونسختنا : وقاموا له راس في الابكه

(٥) ورسم ب

(٦) راجع عن هذا الدير سلسلة الدويهي ص ٢٣

(٧) وفي مصرح ف وغ

وثبتوا على ايمان مارون والمرتفعين اتوطون[1] والمتمادين اصطلحون
الى ما جاهم ابن شعبان
يوحنا الجاجي كان بطرك اقبل من البابا تاج واتبارك بعت للمجمع ولم تحرك[2]
وثبت مارون في رعيان

١٢ — المقدم عبد المنعم

« وبعده قام البطرك يعقوب الحدثي وهـو الذي احتمل اطهاد عبد المنعم مقدم بشريـ الذي مات يعقوبي (٣) . وهذا البطرك سكن دير قنوبين . وفي أيامه ظهر في الارطقة اولاً ابن شعبان مقدم حردين . وهذا كان اولاً ملكي وانقاب ماروني ثم صار يعقوبي واتبعه ابنه واهل قريته . وذلك لمعاشرته اسقف يعقوبي يسمى عيسى . واتصلت الارطقة من قبل صحبتهم لراهبين يسكنا الفراديس اصلهما من لحفد احدهما يسمى سميا وكانت سيرتهما ذات ورع وتعفف ومنهما دخلت الارطقة ايضاً على البعض من اهالي لحفد . وهذه مرة رابعة من سقوط لحفـد في البدع ودخول الانشقاق في بلاد جبيل . اما عبد المنعم مقدم بشري المذكور اقتدى بسميا السابق ذكره وسقط معه في حفرة يعقوب وقاصره الله في الامير احمد ونكب بيته وقريته (٤) »

---

(١) غ ف وب اي ذلوا وفي نسختنا يدانون
(٢) في اب سنة ١٤٤١ اوفد الاخ بطرس من فرارا الى روميه لطلب التثبيت . سلسلة المنبسي ص ٣٨
(٣) سنة ١٤٩٥ تاريخ الدويهي ص ١٤٣
(٤) لم نجد في الدويهي ذكراً لهذه النكبة

« وهذه الاخبار حررتها بيدي انا جبرايل القلاعي طالب الثواب والدعا » (١)

الحدثي يعقـوب احرك والشيخ كان قبله[٢] مبارك والثاني نال احتمل وادرك
لكنه احتمل الطغيان

احتمله وهو مفصوبي من عبد المنعم اليعقوبي مؤبد كان معه متعوب
أورى فيه عظم البرهان

ومات موته لادين ولا يقين[٣] البطرك كان في قنوبين[٤] وابن شعيا كان في حردين
منه تنسّل ثلاث طغيان

من اصله قد كان رومي وبعد ذلك صار ماروني جاء اليه داسوس ملعون
يدعى عيسى باسم مطران

وأطغى العدما والمنافقين[٥] ابن شعبان مع اهل حردين وصاروا في زي الشياطين
يعلمون البنات مع الصبيان

ويصلبون بواحد صابع وينكرون المجمع الرابع[٦] وبابا لاون السابع
وملك الارثوذكسي مرقيان

مارون صار ملبوك معهم وكل عديم كان يتبعهم والافعى المسمه تـلدعهم
ولا كان يفزع من النيران

مات الافعى وقام ابنه[٧] في الطغيـان أتعس منه وعن الايمان قد ضاع ذهنه
وراد يحقر لمن لا ينهان

---

(١) كان ابن القلاعي معاصراً لهذه الحوادث
(٢) غ «٣» غ ب ف وفي نسختنا ومات موت الكافرين
«٤» هو اول من سكن قنوبين من البطاركة وكان سلفاؤه في دير مار سركيس بحردين
(٥) والمنحفظين غ ب ف
(٦) الخلقيدوني الذي حرم اليعاقبة
«٧» يعني موسى بن شعبان مقدم حردين لان جمال الدين يوسف ابن عبد المنعم كان مستقيم الديانة . تاريخ الدويهي ص ١٤١ و١٤٣

واسعى ابليس في غدره وأشغل في الباطل فكره ابن عطشه[1] جل قدره
وارسل له كتاب الطغيان

على يد اثنين[2] متهومين راحوا منا مهزومين لا علما ولا مرسومين
خرجوا من لحفد صبيان

وانتهموا في القدوسيه[3] وهربوا من الرهبانيه وصبيان لهم في العلم غيه
عدما ودخلوا في بستان

لحفد كانت محموده في الكرم وفي الجوده صارت من ابليس محسوده
منها انجهر رابع طغيان

من اولادك يا امي لحفد السيف في قلبي منفد وانا كنت باسمك امجد
وحولت وجهي للحيطان[4]

من اجل سميا ورفاقه[5] لا كان لنا يوم اشراقه لاجل حرومات اوثاقه
تزعزع اساس جبل لبنان

تشبه في البسبسه الخرصا بالسم علومه مغتمصه وعلى كل حاوي صار يعصى
وقلبه موسوق في الطغيان

ويلدع لمن هو صافي القلب ويرمي من هو سالك في الدرب واخباره في الشرق والغرب
انه انطغى مع الشيطان

---

(١) عن نسخة الفاتيكان وفي نسختنا وبقية النسخ « ابن عطيه » وهو خطأ وقد ورد في تاريخ الدويهي ص ٤١٥ ان موسى ابن عطشه اليعقوبي ارسل الى المقدم عبد المنعم مع رهبانه مكاتبات وهدايا . وان عبد المنعم وجد معهم كتابا جميلا يتضمن قواعد بدعتهم فاخذه ودرسه وانضم الى مذهبهم .

(٢) اي سميا وابله جرجس من قرية لحفد مسقط رأس ابن القلاعي

(٣) لعله يريد زيادة يا من صلبت لاجلنا على التقديسات الثلاثية (٤) إخجلتني

(٥) وهم ابنه جرجس وعيسي وابن شعبان الرومي وموسى واخوه حنا وولدا ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاوي الذين رهبهم ورسمهم كهنة على يد مطمه ديوسقوررس ابن ضو النبكي اسقف بيت المقدس اليعقوبي [راجع تاريخ الدويهي ص ١٤١] وهذا الاسقف قدم الى لبنان سنة ١٤٧٠ وتتلمذ له نوح البقوفاوي الذي صار فيما بعد بطريركا على السريان اليعاقبة [الدويهي ١٣٩]

وسكن في دير الفراديس وطلع عن اسمه انه حبيس تلاميذه عملهم دواسيس
يطغوا في عقل النسوان

وهـو اطغى قنطروني[1] وعمل له اب روحاني ووسع له في الدنياني
وحطه في قاع الطغيان

شب جاهل وسبح في الشر ولا عاد له نحو الله فكر ولاجل الرحمه وطول الصبر
خطر له ان الله نعسان

ويل لمن لا ياخـذ حذره ويحاكم ذاته في دهره لان غضبه بيشعل في صدره
وفي طولة روحه نيران

او لا يصبر عـلى الخاطي لعله يتوب ويكون واطي لما ينظر انـه باطي
بيشعل غضبه بغير اوان[2]

وهـذا نظره في الجهال وزايغ في كتير احـوال ومن كان يوبخه في اقوال
ويهزه في الموت والعصيان

وزايد عـن كل الفحاشات زايغ عن الدين والاعتقادات واستولش كل السادات
ولا عاد يمسك من انسان

واعطاه الله مـن يـده وبعت اعداه تسكن عنده الى ما يتكمل وعده
ويشعل غضبه في النيران

الله هـو حاكم عـادل ومع الجيد جيد متواصل ومع الشرير سخطه عاجل
ولا يغفل غمضة اعيان

---

(١) المقدم عبد المنعم

(٢) ب . غ . ف . وفي نسختنا : في النيران

انت اعطاك فسحه ومده وافتقدك في كم شده واعطاك من الايام عده
لعلك ترجع من الطغيان

لماذا لماذا لك [1] غافل سخط الله قد جاك [2] عاجل امير احمد هو ليك واصل
قاصد دمك وهو عطشان

مير احمد الله اعطاه يأدب اعداه في ايداه [3] ليس يريد من احد نجده
لانه منصور في ذا الان

منصور عليك لاجل السقطه عظيمه هذه الهبطه بشري في يده تعطى
ويدخل بيتك وهو غضبان

١٣ — نكبة بشري ومقدمها

قوم انت امعى في روحك امحي البرادعي [4] من لوحك الغربا اطردهم من فتوحك
لان الغريب [5] ليس له ايمان

ولو كان الف غريب عندك ربك وبلادك ضدك من اين تترجى نجدك
من الله أو من ضعف الانسان

---

(١) ويلك

(٢) جاءك

(٣) يديه ف وفي نسختنا وم بادب اعداه في امداه

(٤) يعقوب البرادعي الذي انتسبت اليه اليعاقبة

(٥) الديب ف

وانت مع الله بتحارب ومع قديسيه بتضارب المعونه منه طالب
بعت الذين تركوا الايمان

وأرسلهم وهو رافعهم بعينك وراك حتى تقشعهم[١] محبك وعدوك جو معهم[٢]
من ابن المعونه في ذا الان

لماذا لم يحميك يعقوب ورزق الله [٣]عندك محبوب وابن حسن[٤] يخليك مغلوب
وبيتك له مثل الدخان

اعترف واعرف ان الله ضدك ولا في كثره ولا وحدك نظرت عدوك جا عندك
وقتل وزيرك[٤] من السجعان

وانت نجوت مع صبيانك ونظرت الموت في اعيانك لماذا تدخل اوطانك
وتطمن مع هذا الثعبان

نعم الله اعمى قلبك وليس جا ضدك غير ربك وليس في كل غضبه ضربك
ولا جازاك كل الاحسان

بل غضبه ممزوج برحمه لاجل انه رحوم رحم الامه والذين كانوا في الجرمه
لدعتهم لهيب النيران

---

(١) وفي ف بعينيك حتى تنظرهم

(٢) غ وفي ف : محبك وعدوك مذهم

(٣) عمه الذي سلفه في المقدمية توفي سنة ١٤٧٢ راجع الدويهي صفحة ١٤٠ ويقول عنه ص ٤١٤ انه كان عالما مكرما بين قومه وساعيا في تعمير البلاد

(٤) الامير احمد

(٥) لا بد انه قائد جنده ولا نعلم من هو

(٦) اليعاقبة

وبعض المساكين التحقوا   بخطية الاشرار احترقوا   وعدل الله أخذ حقه
وعلمه ليس يحصيه انسان

اذاً اتنبه من الغفوه   ولا يطلع لخصمك سطوه   لان الله اعطاه نخوه
وادخله واخرجه في اطمان

ليس انه فارس ازعر   ولا لاجل انه من الاخيار   بل لتاديب الاشرار
اعطي من الله سلطان

وأنقى ذاته من كل عار   وخلصه من كل خطر   لانه ليس فتش اكثر
ولا كشف سره لنسوان

ليس له ذنب بما فعله   بقين ان الله قد ارسله   وما كان عليك موسخ اغسله
ونام واستريح في الديوان

ومن كان يصدق قبل ان صار   ولو كان وجده في دفتر   ولو كان نبي كتبه في الاسطار
كانت تكذب به الاعوان

يقولوا جبل لبنان ابداً   ما يدخل جواه أعدا   القديسين فيه تمجدا
وصلوات ابا مع رهبان

ليس عرفوا المركب مكسور   والمخامره هي جوا السور   الاعدا بتدخل بغير دستور
وليس آيات من غير ايمان

لا الكنايس بتوري برهان   ولا الله بيسمع انسان   اذ لم يكون عارف الاحسان
وثابت على صخر الايمان

الكنايس حجاره مبنيه   والارواح عنا مخفيه   والله عالم في النيه
وهو فاحص قلب الانسان

ويعرف عدوه من محبه   ويعطي انعامه وغضبه   على قدر ما يوجد قلبه
ثابت على صخر الايمان

كل الخطايا بتدبر [١] وفي التوبه توجد اغفار ولكن الهرطيقي ولو استغفر
هو ماضي لقعر النيران

وبشري كان فيها فحاشات وخطايا كثيره مجهورات وليس اوصلها للضربات
الى ما زاغت عن الايمان

وليس انهى فيها غضبه بل برحمته مزج [٢] ادبه وان تابت [٣] وعرفت حسبه
رحوم اسمه وليس غضبان

وان ثبتت افتقدها ايضاً ولا يهدا حتى يرضى عدله في غضبه يقضى [٤]
كساد وم وعامور نتيقن

١٤ – نداء الى بشري

بشري خافي وارتعبي بشري ابكي وانتحبي بشري توبي وانتصبي
ضد الخايب عن الايمان

بشري بيوتك احترقت بشري كتبك اختنقت كانت محصنه انتشت [٥]
لانها مملوه طغيان

بشري وصلت للحصره وانت اليوم وعره قفره العتيق فيك وصل للدثرى
ابني جديد على الايمان

---

(١) تذكر غ

(٢) ف وفي الاصل مجز ولعلها مزج بلفظ العامة

(٣) غ وفي الاصل ثبتت

(٤) غضبه في عدله ف غ

(٥) بشري انعامك اندفقت ف غ

والله قادر يقيم عزك ويرضع اولادك من بزك ويهز اساس الذي هزك
ويطرق راسه على السدان

وان كان عتيقك ليس ينفف ولا تخرجي منك الاطراف غضب ثالث لم يوصف
ولا يقدر يخبره انسان

انا ابشرك وبه أنبا [١] انه عن نظرك ليس يخبا والذي يعلم به يصبا
ويخبرني في تلك الان

ثم يعقوب ما هو حاسك ولا ابداً دار على ضرسك ولا حلة لبس في عرسك
ولا قام لك منه مطران

فلاكن [٢] توبي يا بشرى [٣] واطردي الغربا الى برا واقنعي [٤] بزوجك ياحره
مارون تزوجك بايقان

هو أسسك وأبناك هو رفعك وولاك أبداً ما راح وخلاك
لماذا عشقت بياع شنان [٥]

---

(١) اخبر . ولعله يريد أتنبا

(٢) في الاصل : اذا كان

(٣) حقيقة لفظها بشراي . وقد نشر الشرتوني في تاريخ الدويهي ص ٤١٩ خمسة من هذه الابيات مختلفة عن النسخ التي بيدنا ولعله قصد تصحيحها فشوهها

(٤) واكتفي ف.غ

(٥) يشير الى موسى بن عطشه الذي قدم في المرة الاولى الى طرابلس بزي تاجر . وقد ذكره ابن القلاعي بهذا اللقب في زجلية اخرى نشر الدويهي قسما منها في تاريخه ص ٤١٨ حيث قال :
ابن عطشه بايع اشنان اصله من بلاد السريان ارسل على يد الرهبان
كتاب فيه عربي وسرياني

احمد ابن حسن

ابن جوكان الدرزي ساحر كتاب الحرزي يكون جا اليك مثعزي
عشقتيه وانت في الطغيان

المقدم بدر والمقدم زين[١] ما كانوا اولادك الاثنين متى اعطوا ليعقوب حجرين
ام خلوه يقدم قربان

الكنائس منك استغاثت في الاول عليك تعبت الاعدا عليك بحثت
ومارون من اجلك تعبان

حزن عليك الذي يعرفك بكي عليك من صاحبك واشتفى[٢] فيك من يبغضك
لاجل ان زوجك عليك غضبان

يسوع زوجك حسنه زايد وفي الكنيسه حكمه نافذ لانك عشقت ديبًا شارد
ولونه اسود مثل الغربان

نعم الهرطيقي عرضه أسود وأين ما بات وسخ وأفسد وكل الضربات خلفه يجدد؟
حروم البابا بنوري برهان

فيقي بشري لقولي فيقي حروم البابا ليس بتطبيقي بيحرم كل عام الهرطيقي
ومن يحمي له[٣] بفعل الاحسان

---

(١) ولدا المقدم يعقوب البشراوي . خلفاه مع اخوتهما في المقدمية سنة ١٤٤٤ وكانا صحيحي الايمان. راجع الدويهي ص ١٣٧ و ٤١١

(٢) تشفى

(٣) يحامي عنه او يحبه

وانت حميت وانت عصيت[١] وانتِ غصبت[٢] وانت بقيت[٣] وانت حبلت لماذا شكيت
بالزنا حبلت وولدت شيطان

ثمرة يعقوب حات فيك ويعقوب عاجز ليس يحميك اطردي يعقوب الساكن فيك
واقتبلي البركات من هذا الان

وانا الخاطي بدعي لاجلك لله حتى يقتبلك ويعطيك تبلغي أملك
كما كنت اول الزمان

كملت بالدموع انكتبت ومن التواريخ اتخذت عن ستماية[٤] عام حصلت
عهد مارون في جبل لبنان



---

(١) ف وفي الاصل و غ : عطيت

(٢) غضبت غ ف

(٣) بغيت ف غ

(٤) هل يعني ان الطائفة المارونية نزحت الى لبنان في اواخر القرن التاسع

خاتمة

لا بد لنا ان نختم تعليقنا على هذه الزجلية بملاحظة عامة نبديها على بعض مزاعم ناظمها ورواياته . فهو يكثر من اتهام طائفته او قسما منها بالسقوط في البدع وينسب دائمًا الفضل في هدايتها الى مرسلي الغرب . ولا يخفى ان ابن القلاعي كان من اعضاء الرهبانية الفرنسيسكانية وقد تهذب في ايطاليا . ولا نخاله قد اختلق كل هذه التهم أو انه، كما قال البطريرك الدويهي ، قلب الحوادث رأسًا على عقب توصلاً الى غايته ، بل نرتاي انه قد ردد في زجليته صدى التقاليد التي وصلت اليه ، فنظمها ووصفها وصفًا يحمل مواطنيه على الاعتبار بها . وقد يبالغ في الوصف والتهويل لينال غرضه من التأثير .

ولا شك ان ما حمله على وضع هذه الزجلية وأمثالها وتدبيج المئات من الرسائل المطولة ، التي وصل الينا بعضها ، (١) هو الشقاق الذي استفحل في زمانه بين سكان قرى بشري وحردين ولحفد لانحياز مقدميها ، وراء عبد المنعم مقدم بشري ، الى البدعة اليعقوبية . فاستحلف ابن القلاعي مواطنيه بأن يطردوا الغريب ، واستعان بالتاريخ ليبين لهم ما جرته مثل هذه الفتن الدينية من الويلات على الطائفة المارونية في

---

(١) يقول ابن القلاعي في رسالته الى القس جرجس الرامي (تاريخ الدويهي ص ٤٣٤) انه كتب في مدة ثلاث سنين ٤٠٦ رسالة

كل ادوار حياتها ، فقد فرقت كلمتها وضعضعت قواها ومكنت الاعداء من بلادها .

كل الحوادث الموصوفة في هذه الزجلية تتمشى على هذا النسق . فالاستنتاج صحيح ، بيد ان قيامه على نظام واحد في سرد هذه الفتن واسبابها ونتائجها وكيفية صرفها يجعلنا في ريب من صحتها التاريخية البحتة .

خذ مثلاً الاضطهاد الذي ثار على رؤساء الطائفة وكان من افظع مظاهره مصرع بطريركها جبرائيل الحجولاوي سنة ١٣٦٧ ، فقد جعله ابن القلاعي نتيجة بدعة الحبيس البشاع ، وادعى ان البطريرك الذي كان على عهده لم يكتف بالميل الى رأيه بل سعى في تبديد شمل المقاومين له . فالاضطهاد المذكور حقيقة تاريخية ، انما أثاره نواب الاسلام على اثر تعديات الافرنج ، وخاصة ملك قبرص ، على المدن الاسلامية كبيروت وصيدا والاسكندرية . فأفتوا بقتل رؤساء الكهنة ووعدوا من يسلمهم بالمال . فمنهم من هرب كيعقوب مطران اهدن صاحب كتاب الناموس ، والاسقف حنين مطران دمشق ، الذي لجأ الى قبرص ، ومنهم من وقع في أيدي المسلمين كالبطريرك جبرائيل الحجولاوي المذكور ، الذي جره المسلمون الى طرابلس واماتوه حرقاً بالنار (١)

ونلاحظ هنا عرضاً ان الحبيس اليشاع والبطريرك المنحاز اليه ، اللذين دافع الدويهي عنهما ، هما غير المقصودين من ابن القلاعي .

---

(١) تاريخ الدويهي ص ٤٨١ — ٤٨٦ .

فقد وجه المذكور تهمته الى سلف الحجولاوي لا الى خلفه ؛ والحجولاوي استشهد كما قلنا ، سنة ١٣٦٧ . اما البطريرك داود الملقب بيوحنا ، الذي اثبت الدويهي صحة ايمانه ، فقد خلف البطريرك الحجولاوي على قول الدويهي نفسه (١) وعاش حتى سنة ١٤٠٤ . وهكذا قل عن الحبيس اليشاع المبتدع فابن القلاعي يجعله على عهد سلف الحجولاوي ، يقول ان الله قاصصه فتدهور من أعلى محبسته ومات . اما الحبيس اليشاع ، الذي برأ الدويهي ساحته ، فقد تجاوز سنة ١٤٠٤ التي توفي فيها البطريرك داود خلف الحجولاوي ، بدليل ما قاله الدويهي ذاته في سلسلته (٢) « نستدل مما كتبه المطران فوريلوس الحاجي والخوري اليشع الحبيس ان البطريرك داود المذكور بلغ الى سنة ١٤٠٤ »

اما الراهب اومريكوس او اومرياكوس ، الذي ينسب اليه ابن القلاعي ارشاد الطائفة بعد فتنة الحبيس اليشاع ، فقد تعددت فيه الروايات والاقاويل . فبعض المؤرخين ، مثل لكويان الفرنسوي ، ومرهج ابن نمرون والمطران يوسف الدبس المارونيين ، خلط بينه وبين البطريرك ايمريكوس اللاتيني الذي قصد الى لبنان سنة ١١٨٠ (٣) . وبعضهم كمختصر تاريخ ابن القلاعي قد حدد سنة ١٣٠٥ لوصوله الى لبنان ، مع ان ابن القلاعي ذكر مجيئه بعد استشهاد البطريرك الحجولاوي الذي جرى سنة ١٣٦٧ . وقال في محل آخر (٤) انه سبق

(١) راجع سلسلة البطاركة للدويهي التي نشرها الشرتوني ص ٢٩
(٢) ص ٢٩
(٣) تاريخ الدويهي ص ٣٥٠ — ٣٥٨
(٤) الدويهي ص ٣٧٩

مجمع فلورنسا الملتئم سنة ١٤٣٥ . فيكفينا الخبط في التواريخ والخلط بين الاشخاص لطرح هذه الدعوى جانباً الى ان تنجلي وتؤيد بوثائق راهنة . وجل ما في الامر ان راهباً بهذا الاسم قد تمكن من ازالة الخلاف الناشب بين الموارنة الثابتين على العقيدة الكاثوليكية وبعض الخارجين عنها

ونتهز هذه الفرصة للتصريح بما يخالج فكرنا كلما وقفنا على اشكال هذه التهم الموجهة الى طائفتنا . وهو ان تهافت الكثيرين على ادعاء هدايتها يعود عليها بالفخر وعليهم بالسخرية . لان ادعاءهم متأت اما عن جهلهم لغتها وتقاليدها ، فيهرفون بما لا يعرفون ويعدون اختلاف عاداتها عما درج عندهم ، بدعة وانشقاقاً وهرطقة ، اما عن رغبتهم في التبجح على حسابها لدى مواطنيهم ، وخاصة لدى الدوائر الرومانية ، فيربحوا الاعجاب بهم والثناء عليهم ، وما وراء ذلك من الرواتب والوظائف والقصادات . والغريب ان مساعي كل هـؤلاء الهداة تكلل دائماً بالنجاح الباهر وبسرعة مدهشة . فيكفي ظهور أحدهم بين الشعب الماروني في لبنان او قبرس او بين النهرين (١) ليعتبروه ابن السماء ويهرعوا رجالهم ونساؤهم وكهنتهم واساقفتهم وبطريركهم الى الارتماء على اقدامه وطرح الضلال والتصريح بانضمامهم الى الكنيسة

---

(١) راجع في تاريخ الكنيسة المارونية للخوري بطرس ديب ج ١ ص ٢١٤ حكاية الراهب الدومنيكاني فرانيكولودو مع موارنة تكريت

الحقيقية الرومانية ، وان جهل لغتهم وجهلوا لغته . وكثيراً ما تظهر ، على يد هذا المرسل من الله ، العجائب والخوارق ، كما جرى على يد الاخ غريفون في اواسط القرن الخامس عشر . فقد رد الشمس من الغرب الى الشرق واعادها حالا الى الغرب (١) . فلا نستغربن بعد كل هذا ان يكلف رؤساء الطائفة المذكور تبليغ عبوديتهم الى اعتاب الكرسي الرسولي ويدفعوا اليه ورقة ممهورة بامضاءاتهم على بياض ليكتب فيها بلسانهم ما يخطر بباله .

كل هذا يحملنا في ريب عظيم من تصديق مزاعم هؤلاء المتبجحين ، وقل المسترزقين ، على حسابنا . ومما كان يزيد في جرأتهم بعد المسافة بين الشرق والغرب وقلة المواصلات وصعوبتها .

ومهما كان من امرهم فسهولة انقياد الشعب الماروني الى كل دعوة تصدر من رومية أو من احد المنتمين اليها دليل واضح على حسن نيته ورغبته الدائمة في التعلق بأهدابها . ولعل اتخاذ هؤلاء المدعين الطائفة المارونية دون غيرها هدفاً لمزاعمهم وجسراً لاغراضهم برهان على تفردها بين سائر الطوائف الشرقية بنزعتها الكاثوليكية . وقد حملها هذه النزعة على طرح أعز تقاليدها واستبدال اجمل طقوسها وصلواتها واثوابها بطقوس وصلوات وأثواب الكنيسة الرومانية .

فهذه المظاهر والتضحيات تعود عليها بالفخر وعلى حسادها

---

(١) راجع حكايته في تاريخ الدويهي ص ٣٩٩ - ٤١٩ وفي المجلة السورية ١ : ١١ — ١٤

واعدائها والمتاجرين بحسن طويتها بالملامة والمذلة .

والحقيقة التي لا مشاحة فيها ان خلو أيدينا وأيـدي خصومنا من وثائق تثبت او تنفي هذه القضايا يجعلها واهية الاساس لا يعتد بها مؤرخ منصف . واذا كانت هناك ارجحية فهي في جانبنا . فالاجدر بنا اهمال هذه المشاحنات منتظرين ظهور الوثائق الراهنة، والانصراف الان بكليتنا الى التنقيب عن المصادر التاريخية التي ابقتها لنا تقلبات الزمان، ودرسها ونشرها، فنبني قسماً من تاريخنا على دعائم ثابتة . وقد أضاع قبلنا المؤرخون الاوقات الثمينة في الاخذ والرد ووضعوا المجلدات الضخمة في الهجوم والدفاع ، فلم يدركوا نتيجة معقولة

وهذا ما يحدونا الى الحاق هذه الزجلية بوثائق مجهولة تعززها وتوضحها. فالى الأمام .

الخوري بولس قرألي



ملحق

١

مؤلفات ابن القلاعي

بقلم

الاباتي طوبيا العنيسي

هو جبرائيل بن بطرس القلاعي الماروني من قرية لحفد احدى قرى جبل لبنان انضوى الى رهبانية مار فرنسيس اللاتينية في بيت المقدس سنة ١٤٧١ فسيم قساً سنة ١٤٩٦ وسكن دير الصليب في افقسية قبرس ثم صار مطراناً على قبرس للطائفة المارونية . وأخيراً مات سنة ١٥١٦

ذكر الاخ فرنسيس سوريانوس احد رهبان مار فرنسيس المتوكلين على حراسة القبر المقدس في تذكاراته التي خلفها في لغته الايطالية العامية ، وقد نشر نبذته هذه في مدينة ميلانو سنة ١٩٠٠ صديقي الاب ايرونيموس الفرنسيسكاني ، قال : ان الاخ غريفون [١] ظهر في القرن الخامس عشر وألبس في القدس ثلاثة شبان موارنة الثوب الفرنسيسكاني وارسلهم الى البندقية ليتعلموا العلوم البيعية في ديرهم هناك فاتقنوا الحق القانوني والشرع الكنائسي وبقية العلوم اللاهوتية . وهم الاخ يوحنا الذي فيما بعد صار اسقفاً على العاقورا احدى قرى لبنان وكان قد اختاره الشعب بصوت حي . وكان راعياً صالحاً ومدبراً حاذقاً في تدبير شعبه وكانت كل اعماله صالحة . والثاني هو ابن القلاعي الذي صار اسقفاً على ابرشية قبرس . والثالث كان اسمه فرنسيس عاش ومات راهباً بسيطاً [٢]

---

(١) هو راهب فرنسيسكاني له تعلق ذو بال بالموارنة من حيث التاريخ سيصير الكلام عليه في كتاب اخر لي ان شاء الله . راجع فيه الدويهي صفحة ٣٩٩

(٢) راجع ايضاً في ترجمة ابن القلاعي تاريخ الدويهي صفحة ٤١٢ وما يليها

مؤلفات ابن القلاعي الموجودة في المكتبة الفاتيكانية

١ — كتاب سرياني كرشوني طوله ١٩ سنتيمتراً وعرضه ١٣ سنتيمتراً صفحاته ٩٤ كُتب سنة ١٥٥٦ في نيسان. لا اسم لناسخه ولكني قرأت في كتاب آخر ان يوسف البسلوقيتي احد تلامذة مدرستنا الرومانية نسخه سنة ١٦٥٤.

هذا الكتاب يتضمن قصة يوسف بن يعقوب اسرائيل منظومة بالشعر العامي. وتاريخ الطائفة المارونية وهو معروف بزجلية ابن القلاعي في اصل الموارنة [1]

٢ — كتاب كرشوني طوله ٢٠ وعرضه ١٤ صفحاته ٨٢٤ وهو موسوم « بكتاب المواعظ » نسخه الخوري موسى ابن اخي المطران موسى العنيسي من العاقورة على عهد البطريرك جرجس عميره والمطران يوسف ابن المطران بطرس العاقوري والمطران عبدالله والمطران اسحاق والمطران يوسف البلوزاني وذلك في ٧ كانون الاول سنة ١٦٣٧ وقد استعاره منه لينسخه الشماس يوسف ابن الخوري جرجس الكرمسداني. خطه جميل

يشتمل هذا الكتاب على رسالة من جبرائيل المذكور الى اهل لحفد قريته يظهر بها شوقه ومحبته لوطنه ويتمنى العود الى بلاده ويشجع اهله ليثبتوا في الايمان لانه سمع بانحيازهم الى تعليم الهراطقة. فيبرهن لهم من قول الرسول ومن عدة مواطن من الكتاب المقدس. اقتضب منها ما يهم موضوعي من حيث التاريخ. قال جبرائيل :

« كتبت رسالتي لمحبتكم سومعت لحفد انها الان رست في صحبة المطران داود الهراطقة وان كل قلبه وظهنه عندهم وفي الظاهر هو معهم مرايا وفي المخفي هو يعقوبي صرف. وانه ليس هو جالس عندكم الا حتى تدخل يده في جوا وتعطوه رعية ويديركم كلكم يعاقبة.

---

(١) هي النسخة التي تكرم حضرته علينا بصورة منها وقابلناها على نسختنا   المحرر

وهنا يحذرهم من مخالطة اليعاقبة والانحياز الى تعاليمهم لئـلا تعاجلهم الضربات والبلايا التى اصابت المنفصلين عن كنيسة رومية كاليونان واهـل البانيا الذين بانفصالهم خسروا شرفاً عظيما واستعبدوا لامة غريبة الى ان قال : بقيت من امانة مارون دخيرة الكنيسة في بلاد جبيل تريدون انتم تطفون ذكرها لاجل اثنين [١] عدما منفضحين انبيا كاذبين في لحفد »

وفي آخر الرسالة يـقول « كونوا على امانة اجدادنا من عهد بطرس وفيلبوس الذين هم اسسوا كنيسة السيدة في لحفد » ثم يلتفت الى لحفـد ويقول « يا لحفد كنتي حرة ستبقي جارية : كنتي كرمي كهنوت : بقيت كرسي طغيان : كنت بعز صرتي بهوان . كان اسمك لحفد صار اسمـك بابل : مسكن اولاد الفساد » وهذه الرسالة طويلة تنقسم الى خمس مقالات يندب بها ويوبخ قريته لحفد . كتبها في بيروت الى الشدياق يعقوب ابن البطرماني في ١٢ كانون الاول سنة ١٤٩٣

ثم يشتمل هذا الكتاب على خمسين عظـة مختصرة يفسر فيها مواضيع انجيلية مختلفة تتلى في ايام الصوم الكبير والاعياد يحث بها المؤمنين على اقتباس الفضائل واجتناب الرذائل

٣ً - كـتاب كرشوني طـوله ٢٠ عرضه ١٥ صفحاته ٧٣٦ موسوم « بكتاب الاسرار » قد ترجمه عن اللغة اللاتينية كما يقول هو نفسه في احدى صفحاته وعنوانه يدل على فحواه . قد نسخ هذا الكـتاب السيد الياس اسقف اهدن في مار يعقوب اهدن وانجزه في ١١ حزيران سنة ١٦٤٠ واهداه الى المطران يوسف ابن مطان من قرية بلوزا

---

(١) هذان الاثنان مذكوران في زجليته اي سيبا وابنه جرجس راجع المجلة البطريركية

٤َ – كتاب كرشوني طوله ١٦ عرضه ١٢ صفحاته ٢٠٠ هو مختصر اللاهوت يتكلم فيه على وحدانية الله عز وجل وثالوثه المقدس وعلى سر التجسد والاسرار وعلى الفضائل والرذائل . نسخ هذا الكتاب سركيس الجبيلي اخو المطران يونان والمطران يوسف في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٥٧٦

في صفحة ١٤٣ من هذا الكتاب وضع الناسخ حاشية وهي : في سنة ١٥٧٦ ارتسم اخي مطران وقال علينا محسده من من ما يخاف الله وارما اخوتي بيد ابن عساف وبيد ابن حبيش وبدى يكتب اوراق كذب عسى يقتلوهم فما سمعوا منه . فكتب اوراق اوخار الى طرابلوس ولصو باشي وبدى يتالعب من هنا الى هناك خسرنا مايتاين قبرسي وحاملنا دراهم الناس وطافوا اخوتي من طرابلوس الى القدس يتصادقون من النصارى والاسلام ومن الدروز وباقي الاديان وحنت علينا الغوربا والقوربا وقلب الحبيس سركيس البقوفاني كلما له يقا « كاتبه سركيس الصمراني في مار انطونيوس قزحيا

٥َ – كتاب كرشوني طوله ١٨ عرضه ١٣ صفحاته ٥٢٤ يتضمن هذا الكتاب تنبيهات ونصائح في ما يخص الطقس ولا سيما ذبيحة القداس ومعتمد فيها على تعليم القديس بونا نتورا

ويتكلم في هذا الكتاب ايضا على بدعة نسطور وديوسقورس واوتيكيوس . وفي آخر الكتاب رسالة موجهة الى رهبان جبل لبنان يحثهم بها على النسك والعبادة والفضائل وعلى مباشرة زيارة السبع كنائس في رومية . لا اسم لناسخه غير ان خطه يشبه خط الكتاب السابق كل المشابهة

٦ً — كتاب كرشوني صفحاته ٢٨٠ قطع كامل نهج فيه مؤلفه منهج الشرع الكنائسي وهو يتكلم فيه على اغلاط المبتدعين وعلى الله كخالق الاشياء المنظورة والغير المنظورة وعلى سر التوبة والمسحة الاخيرة وعلى الخطايا وعلى سلطة البابا والبطريرك والاساقفة وعلى سرّ القربان وسرّ المعمودية والكهنوت . نقله من اللاتينية . نسخه سركيس الصمراني في قزحيا في ١٨ ايار سنة ١٥٧٤

٧ً — كتاب كرشوني قطع كامل صفحاته ٢١٥ وهو كتاب لاهوت يدور كلامه فيه على التجسد الالهي وعلى الطبيعتين والمشيئتين . ويشتمل هذا الكتاب ايضاً على بعض براءات باباوية وعلى فهرست اسماء ملوك قسطنطينية . وعلى سلسلة اساقفة رومية وعلى رسالة في الاسرار الى المطران اللحفدي . نسخه سركيس الصمراني في قزحيا سنة ١٥٧٥

جاء في صفحة ١٦ من هذا الكتاب « ان سليمان من قرية بجنس شدياق مطران بحرصاف كتب كتاب اوريلس وطوماس لاون في السرياني في تاريخ ثمانماية وكسور يونانية » تنبيه — ان كتابات ابن القلاعي مشحونة بالاغلاط التاريخية ومن جملتها يقول في هذا الكتاب « نيقولاوس (البابا) ثبت بطرك مارون وبعث له بيدلة وهو اول بطرك مارون الطايع أوامر الكرسي الرسولي » تأمل كيف يخبط خبط العشواء

٨ً — كتاب سرياني طوله ٢٠ عرضه ١٥ صفحاته ٨٨ فيه اناشيد بالكرشوني لمار اشعيا ولعيد الثمانين ولعيد العذراء . وفيه ايضاً مقالة في التقديسات الثلاثة ومقالة ثانية في معجزات الرب يسوع . كُتب سنة ١٥٩٢

٩ — كتاب سرياني صفحاته ٢٦٧ ست عشرة صفحة فقط من هذا الكتاب لابن القلاعي حاوية قصيدة في رؤيا يوحنا وقصيدة في علم الفلك بالكرشوني

١٠ — كتاب كرشوني صغير الحجم ورقاته ٤١ وهو يشتمل على عدة

قصائد اولها قصيدة في مار يعقوب المقطع يستهلها بهذه العبارة « تموت غريب وما احد يندبك » والثانية قصيدة في مذبحة طرابلس لدى فتحها سنة ١٢٨٩ وهذه نشرها العلامة اغناطيوس كويدي الروماني سنة ١٩٠٤ ويشتمل ايضاً على مدائح في الرهبانية ومريم المجدلية والشعنينه والتوبة نسخه يوحنا ابن الاهدني في قزحيا سنة ١٦٢٩

١١ — كتاب سرياني صفحاته ١٢٦ يشتمل على هذه القصائد الكرشونية في الثالوث الاقدس في المسيح في العذراء في الكنيسة في جبل لبنان والموازنة في الموت في مار سمعان العمودي في مار نوهرا في الجو والهواء في ندب العذراء امام الصليب في مار اشعيا في مار انطونيوس في الفلك في الكذب والحق ضد اليعاقبة في البطرك حجولا جبرائيل الذي قتل في طرابلوس وهو يدافع عن الايمان سنة ١٢٦٥ في موسى الحبشي في التوبة

كُتب هذا الكتاب في القرن السادس عشر ولكنه فقد من المكتبة الفاتيكانية عند استيلاء نابوليون بونابرته عاهل الفرنسيس على رومية . لعله في مكتبة باريس

١٢ — كتاب سرياني صفحاته ٦٤ يتكلم فيه على البدع والمجامع المسكونية . قد نسخه الياس الغزيري في مار شليطا سنة ١٦٦٩ وهو مفقود من المكتبة الفاتيكانية انما يوجد اسمه في فهرستها .

انتهى



٢

نكبة كسروان

ودير مار شليطا مقبس بغوسطا

١١٩٤ — ١٣٠٧

عثرنا على هذه الوثيقة القديمة بين اوراق خزانة بكركي الخطية مكتوبة بالكرشوني على ورق صكوكي تملأ منه ثلاث صفحات ونصف صفحة بحجم ٨ فرأينا ان ننشرها لما حوته من الفوائد التاريخية وان نلحقها بملاحظة :

المحرر

« بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

« نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقه في تاريخ يبين تجديد هيكل القديس ماري شليطا في بلاد كسروان : واتخذ هذا التاريخ من كتاب المطران تاودورس مطران مدينة حماه في مثل ما وجدناه كتبنا

« ويقول المطران المذكور ان في تاريخ سنة ١٢٦٤ لسكندر ابن فيلبوس الماقدوني انشأ هيكلا عظيماً على اسم القديس مار شليطا في قرية كسروان الشام الكواليير بوخص كواليير سلطان فرنسا من ماله لنفسه وزين هيكله بالاوجاه والثياب الكهنوتية الفاخرة وفي القناديل والصلبان الذهبية وفي دهاليز قدام ابوابه . وتكلف عليهم زايد الكلفة في حجار القرقوبي [١]

(١) لعله جنس من الرخام او من الاحجار ذات الالوان الجميلة

داخل الكنيسة وخارجها . وكان بلاد كسروان في امان ووفق ومحبة زائدة وغيورين على الايمان وذلك من غيرة ملك وسلطان فرنسا الذي تولى حكم بلاد الشرق من حدود غزه الى حدود انطاكية في سنة ٨٩٧ مسيحية . وظفر في هذه المملكة سلطان فرنسا وتولى حكمها في السنة المذكورة من الملك صلاح الدين الظاهر سلطان مصر في غزوات كثيرة ما خلا مدينة الشام [١] . ومن بعد ما تملك سلطان فرنسا هذه البلدان جعل يكاتب الملك سلاح الدين على الهدنة فرضي سلاح الدين وصار الاتفاق بينهم . والشروط ان كل المامالات المذكورين يكونوا بيد سلطان فرنسا ومن بعد الهدنة والشروط وهب سلطان فرنسا لخواصه المتقدمين عنده المامالات المذكورة كل مدينة وبلادها لواحد وعاود السلطان الى بلاده وسلطنته .

« ومن بعد عودته استقامت المحبة ما بينه وبين ملوك مصر الى سنة ١٣٤٣ لسكندر المقدوني . في بدو هذه السنة صار الاختلاف بين سلطان فرنسا وبين السلطان محمد برقوق الظاهر . وكان سبب فسخ الهدنة من باشت الشام الذي من قبل السلطان محمد الظاهر لانه في المخفي كان يأمي عليه . فعرفوا في مكره واساياه النصارى الذين في بر الشام لاجل ذلك قاموا المتقدمين على المعاملات وصار الاتفاق بينهم انهم يمسكوا الدروب على اهل مصر . والذي من قبل السلطان محمد يأسوهم . واظهروا سرهم الى طائفة يقال لها بيت بلمع الدرزي وكانوا متقدمين في ذلك الوقت على الشحار والجرد والبقاع فخلفوا لهم انهم سعدتهم ولم [خانوهم من حين] اتفاقهم . مسكوا الدروب وجعلوا ينهبوا ويقتلوا الخارجين من مصر والداخلين

---

(١) عثر حضرة الخوري ابرهيم حرفوش على هذا القسم من الوثيقة في قرية غوسطا ونشره في مجلة المشرق ٥ : ٢٧٠ في مقاله عن الاديار القديمة في كسروان

وداموا على هذا الفعل ثلاثين سنة . فاعتلم فيهم السلطان برقوق فعظم عليه فعلهم وكتب الى باشة الشام انه يركب عليهم . فتعين من الشام سبعماية خيال يركبوا على الكساروه وركبة من عسكر الشوام الى البقاع . جاء العلم الى الكساروه ان جاكم ركبة من باشة الشام . وفي حين علمهم رسلوا رسل الى بيت بلمع انهم [يلاقوهم] في رجالهم . واجتمعوا الكساروه وبيت بلمع في بسكنتا وانتظروا عسكر الشامي حتى وصل الى عين صنين وتصافقوا الفريقين . وانهزم الشام من قدامهم واخذوا يقتلوا فيهم حتى ما سلم الا خمس رجال وصلوا الى الشام واخبروا بما صار فيهم .

« ومن بعد هذه الموقعة امر السلطان برقوق ان يتعين رجال من مصر وتجي الى الشام ولا تبين . وجعل يرسل رجال [سنة] بعد سنة حتى الى سبع سنين . وفي اكمال السنين المذكورة اكتمل العسكر في الشام كرّه وخمسين الف [1] ومن بعد اكتمال عسكره ابرز امر للمدبرين العسكر ويأمر في وصول الامر اليكم تركبوا على جبال كسروان وتحاطوهم خمسين الف شرق وخمسين الف قبلة وخمسين الف شمال وتملكوا البلاد وتهدموا القلاع والابرجة والكنائس والاديرة والضياع والعالي تجعلوه واطي والخشن سهل وتقتلوا الرجال والصبيان والنساء والرضع بالسرير . فلما وصل الامر ركبوا وحاطوا البلاد خمسين الف من قب الياس الى انطلياس وخمسين الف من قب الياس الى نبع الخارجيه وخمسين الف من الخارجه [2] الى نهر ابرهيم للبحر ومقدم العسكر نزل في مدينة قبعل [3] وحطوهم تحت

(١) اي مئة وخمسين الفا

(٢) وردت في ابن القلاعي بمعنى كسروان . راجع مجلتنا ٥ : ٥٢٥

(٣) لم نقف على موقع هذه المدينة ولعلها تحريف جبيل القريبة من نهر ابرهيم

الحصار وظلوا اربع اشهر حتى ملكوا البلاد ، ولما ملكوا البلاد جعلوهم عبرة الجيران ولم خلص منهم ذو حي بل راحوا طعام السيف والحريق ، وما خلص من البلاد حي الا مدينة جونيه راحوا في المراكب وتأسفت الجيران على دمار بلاد كسروان وجيرة ناسه

« ثم نخبر عن عمارة القديس [شليطا] الذي في بلاد كسروان اتقدم على هدمها ماية جندي مع معلمين ولم قـدروا يهدموها لان عميت عيونهم من هدمها . ولاجل هذا البرهان تركوه وراحوا الى عند مقدمين العسكر واخبروهم بما صار . ولم خلص في كسروان لا دير ولا كنيسه ولا برج بلا خراب الا كنيسة القديس مار شليطا . وبعد خراب البلاد صار ارضها من تركمان وعربان واسلام يسكنوا في السواحل . ومـن بعد مدة سنين صار يلفي الى البلاد نصارى من كل ناحية

« ونقل هذا التاريخ القس بطرس من قرية عجلتون مـن تاريخ مطران تاودورس مطران حما . تمت »



ملاحظة

بعد ان نشر الخوري ابرهيم حرفوش الفقرة الواردة في صدر هذه الوثيقة علق عليها بما يلي :

« لم نرَ بين اسماء الاسياد والاشراف الذين رافقوا القديس لويس في الحملتين ٧و٨ اسماً يقرب من اسم الكاواليير بخص Chevalier Bachus ولعل اصحاب البحث يهتدون الى حقيقة الامر

« على ان في هذه الكتابة نظراً . فالكاتب يقول ان الهيكل بناه كواليير بَخُص سنة ١٢٦٤ للاسكندر اي سنة ٩٥٣ م . ومن المعلوم ان الفرنج لم يكونوا بعد اتوا الشرق . وجلّ ما نعلمه من التاريخ انه اتى الشرق ملكان من ملوك فرنسة فالاول هو لويس السابع اتى سنة ١١٣٧ . والثاني هو القديس لويس او لويس التاسع اتى الشرق سنة ١٢٤٩ فلو فُرض ان الناسخ غلط في قوله سنة ١٢٦٤ للاسكندر وكان الاحرى ان يقول للمسيح فيمكن القول بان احد عظماء الافرنسيس حلّ في كسروان عند مجيء الملك لويس الى فلسطين وان الكواليير بخُص على قول تادرس بني هذا المعبد وحوّله قصراً لسكناه وان بقايا هذا البناء كانت موجودة لمّا اخذ القس يوحنا في تجديد الكنيسة

« فهذه الكتابة على ما يظهر خالية من مستند وتدقيق كاف . لاننا لا نعلم من هو هذا ثادرس مطران حماة ولا نرى كيف يمكن ان نطبّق على التاريخ شهادته التي نقلها عنه صاحب الكتابة فالاحرى ان نقول ان كتابة ثادرس او من علّق هذه الكتابة على كتاب ثادرس ونقلها عنه القس بطرس من عجلتون هي عبارة عن تقليد قديم مشوّه بالحكايات بناه تصوّر الموازنة الحقيقي في عظمة الافرنسيس وبطشهم . نعم ان الملك لويس التاسع القديس

لم يملك الارض من غزّة الى انطاكية لكن الكاتب لعظم تصوره بالافرنسيس يحمل عليهم كل اعمال البسالة التي اجراهـا من كان قبلهم . ويُحتمل ان يكون المراد من قوله « تولى البلاد » اي حصّن الشطوط البحرية وهذا ما فعله القديس لويس وكان ملك مصر والشام يحاول كل منهما اجتذاب القديس لصداقته وعقد معاهدة معه كما قال المؤرخون فاستفاد الملك من هـذه الحالة وامتدت سيطرته بما امـدّ به النصارى من المساعدات حال وجوده في فلسطين . ومن المقرّر انه كان يوجد بناء قبل ان جدّد القس يوحنا الدير والمعبد ولكن من بناه وفي ايـ عصر فهذا امر مغشّى بديجور ظلمات كثيفة وحبذا لو ازاح نور التاريخ هذه المبهمات . وزيادة على ذلك نقول انه لا يوجد في البناء ولا بجواره حجر يدل على ان ذاك البناء كان من ابنية الفرنج . واذ لم يتقرّر عندنا بعد ان البناء القديم بناه الكوالير يخصّ فلا يُنكر انه كان يوجد اطلال دير او معبد قبل تجديد القس يوحنا للبناء . وهذا البناء لا بدّ انـه كان من الجيل الثالث عشر وانـه خرب بتمادي الزمان بعد خراب كسروان لاول مرة سنة ١٢٨٧ كما قال الدويهي او سنة ١٣٠٧ . وقـال صاحب مختصر تاريخ لبنان بعـد ايراده حادثة خراب كسروان : « اما اواسط كسروان فدامت خراباً مدّة مستطيلة » ومركز دير مار شليطا في اواسط كسروان فالشطوط والازواق كانت مأهولة واعالي لبنان كفاريّا وميروبا كانت كذلك بخلاف اواسطه . والله اعلم بالصواب »

ونحن مع احترامنا لآراء صديقنـا الخوري ابرهيم وتقديرنا لجهوده في تخليد الوثائق التاريخية الخاصة بالطائفة والوطن ، وقد سبقنا في هذا الميدان بالمهارة والزمان ، لا نرى هذه المرة ان نجاريه في نبذ هذه الوثيقة جانباً ، بحجة انها اخطأت في ارقام الحوادث وفي اسم احد ابطالها . وعذرنا عائد الى فقرنا المدقع بالمصادر التاريخية الراجعة الى القرون الاولى والوسطى من تاريخنا . فنحن كالجائع يلتقط الفتات بلهف ويزدردها بشَهم لعجزه عن

اشباع جوفه من الارغفة المستديرة والاطباق الملآنة . وكان هذا شأننا مع زجلية ابن القلاعي التي رذلها بنـاؤو تاريخنا ، فاعتبرناها رأساً للزاوية في صرحه . وأملنا ان نكون بلغنا الهدف بما علقناه عليها من الحواشي والملاحظات وصححنا فيها من الهفوات .

وهذا ما يحدونا الى ان نعالج بالطريقـة عينها وثيقة المطران ثادرس ، التي ورثناها عن القس بطرس العجلتوني ، لنستخرج جوهر فوائدها . لان معدنها جيد ، اذا حكّت وصقلت امحت شوائبها وبرزت مزاياها

استهل المطران ثادرس اسقف حماة كلامه بذكر احد ملوك فرنسا ، الذي تولى حكم بلاد الشرق على أثر هدنة حربية عقدها مع صلاح الدين الايوبي ، من شروطها « ان كل المعاملات الشرقية ، ما عدا دمشق ، تبقى في يد سلطان فرنسا . ومن بعد الهدنة والشروط وهب سلطان فرنسا لخواصه المتقدمين عنده المعاملات المذكورة كل مدينة وبلادها لواحـد منهم وعاد السلطان الى بلاده وسلطنته . » ومن هؤلاء الخواص الكافالير ، باخوس اي الفارس او المقدم ، الذي ولاه على معاملة كسروان فشيد للقديس مار شليطا من ماله هيكلا عظيماً وزينه بالاروقة والحجارة الجميلة والاواني الذهبية والثياب الكهنوتية الفاخرة

فنحن لا نرى في كل هـذه المعلومات « اوهاماً » بل اذا عدنا الى الى تاريخ الصليبيين تجلت لنا كحقائق تاريخية . فالمعروف أن صلاح الدين الايوبي بعد ان انتزع من يد الصليبيين بلدان سوريا وفلسطين ، ما عـدا صور وطرابلس وانطاكية ، واستولى على اورشليم وجد نفسه مضطراً الى مهادنتهم واعادة بعض المدن اليهم . فقد تكاثرت عليه نجداتهم بقيادة اوغست فيليب ملك فرنسا وريشار قلب الاسد ملك انكلترا وغيرهما من عواهل وامراء الالمان والسكنديناڤيين والفلاماندين ، الذين استولوا على قبرس وضيقوا الحصار على عكا ، فضاق ذرع حاميتها الاسلامية ووهنت همم قواد جيش صلاح الدين ، فعقد مع الصليبيين هدنة ، من بنودها ان تبقى لهم سواحل

فلسطين ولبنان وسوريا ، يافــا وقيصرية وحيفا وعكا ، فضلاً عن صور وطرابلس وانطاكية التي كانت بيدهم ، واستبقى لنفسه مدن الداخلية كأورشليم ودمشق وحلب وملحقاتها . ودكّت عسقلان الى الحضيض لتنازع الفريقين عليها . ثم عاد فيليب اوغست ملك فرنسا الى وطنه بعد ان ابقى قسماً من جيشه بقيادة دوق بورغونيا (١)

اما تاريخ هذه الهدنة فكان ، حسب المؤرخين العرب ، يوم ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨ هـ ، الموافق للسادس من ايلول لسنة ١١٩٢ مسيحية (٢) . فأنت ترى ان كل هذه المعلومات تطابق رواية المطران تادرس ما عدا رقمي ١٢٦٤ يونانية و ٨٩٧ مسيحية . ولعلهما من الاخطاء النسخية . على كل حال ، بعد ان عرفنا اسم الملك الفرنسوي المقصود في هذه الروايـة وتحققنا من صحة الحوادث التي جرت ابّان اقامـته في الشرق ، يمكننا تصحيح رقم ١٢٦٤ يونانية الذي عينه كاتبنا لتاريخ بناء كنيسة مار شليطا برقم ١١٩٤ مسيحية (٣) ، اي بعد مضي سنتين من عقد الهدنة وتـولي المقدم باخوس مقاطعة كسروان

ونلفت النظر هنا عرضاً الى ان الكاتب يسميها « قرية كـسروان الشام » والارجح انه يعني بها قرية غوسطا . ولعل هذا الاسم اطلقه عليها المقدم باخوس المذكور تخليداً لاسم ملكه فيليب أوغست . وقد تؤيد الايام صحة ظننا .

---

(١) راجع تاريخ سوريا للاب هنري لامنس اليسوعي ج ١ صفحة ٢٢٦ — ٢٢٨ وتاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج ١ ص ٣٣٠ و ٣٣١ وتاريخ سوريا القديم والحديث ليانوسكي صفحة ٣٣٨ Syrie Ancienne et Moderne par Jean Yanoski et Jules David . Paris . Firmin Didot 1862 .

(٢) عينه الاب لامنس في ١٩ تموز ١١٩١ ولا نعرف الى اي مصدر استند . وجاء في يانوسكي اوائل ايلول سنة ١٠٩٢ بدلا من ١١٩٢ وهو خطأ مطبعي على الارجح

(٣) الارقام مكتوبة في الوثيقة بالهندي لا بالحرف السرياني

وقول مؤرخنا « ان ملك فرنسا تولى حكم بلاد الشرق من حدود غزه الى حدود انطاكية » لا يسوغ ، بعد ما تقدم ، عده كما فعل الاب ابرهيم « تقليداً قديماً مشوهاً بالحكايات ؛ بناه تصور الموارنة الحقيقي في عظمة الفرنسيس وبطشهم ، لان الملك لويس التاسع لم يملك الارض من غزه الى انطاكية » . فالمطران تادرس لا يقصد هذا الملك ولا سلفه لويس السابع ، بل الملك فيليب اوغست كما رأيت . والهدنة التي عقدها فيليب اوغست مع صلاح الدين قد ابقت له أو للصليبيين ، أغلب ثغور فلسطين ولبنان وسوريا كما مر

بقي علينا النظر في قول المطران تادرس « ان بعد عودة سلطان فرنسا الى بلاده استقامت المحبة بينه وبين ملوك مصر الى سنة ١٣٤٣ الاسكندر المقدوني [1] وفي بدئها صار الخلاف بين سلطان فرنسا ومحمد برقوق الظاهر » فلا شك ان مؤرخنا أو ناسخه قد أخطأ في رقم السنة . ولعله اراد ١٣٠٢ م . واخطأ ايضاً في انه نسب الحملة التي جهزت تلك السنة على كسروان الى السلطان برقوق مع ان هذا السلطان تولى مصر من سنة ١٣٨٢ حتى سنة ١٣٩٨ . واغلب الظن ان ابن القلاعي نقل عنه فسقط في الخطأ نفسه [2] . انما اصاب مؤرخنا في ما ذكره عن الحملة التي قادها الامير بيدرا ، نائب سلطان مصر على الشام ، في تموز سنة ١٢٩٢ واندحرت امام الكسروانيين وبيت ابي اللمع في عين صنين بقرب بسكنتا . وقد أيده المؤرخون وفي مقدمتهم صالح بن يحيى [3] الذي قال ان « الكسروانيين تمكنوا من العسكر الدمشقي في

---

(١) ١٠٣٢ م

(٢) راجع مجلتنا ٥ : ٦١٤ — ٦١٨ وخاصة ٦١٧ وكتابنا ٥ حروب المقدمين : ص ٢٩ — ٣٣ وخاصة صفحة ٣٠ . وتاريخ الدبس ص ٢٢١ و ٢٢٢

(٣) صفحة ٤٥ ، ٤٦ من تاريخه الذي نشره الاب شيخو حيث يقول ان الامير بيدرا قائد السلطنة بمصر قصد جبال كسروان في شعبان سنة ٦٩١ الموافقة لتموز سنة ١٢٩٢

تلك الاوعار ومضايق الجبال » وهو وصف مطابق لموقع عين صنين الذي ذكره المطران تادرس . وما رواه عن انكسار الكسروانيين ونكبتهم سنة ١٣٠٧ مطابق ايضاً لما جاء في تاريخ صالح المذكور وابن سباط وغيرهما . وقد امتاز عنهم بمعلومات لا يمكن الشك فيها الا اذا وجدنا ما ينافيها في وثائق اخرى راهنة . كقوله عن آل جونيه انهم نجوا بأنفسهم راكبين البحر مما يدل على ان اهلها كانوا موارنة كبقية اهل كسروان لا يعاقبة كما ورد في الادريسي ولعلهم كانوا يعاقبة قبل هذه الحادثة بمئة سنة لان الادريسي عاش في القرن الثالث عشر ، وقد ذكر جونيه كحصن على البحر ولقبها بكورة دلالة على اهميتها [1] ويرجح ان اهلها قصدوا الى قبرس حيث كان للموارنة جالية معتبرة تحتل اثنتين وسبعين قرية نزحوا اليها قبل القرن الثاني عشر اي منذ كانت تابعة للبيزنطيين [2]

وجهلنا لشخصية المطران تادرس صاحب هذه النبذة لا يجيز لنا اتخاذه برهاناً على عدم وجوده وانكار نسبتها اليه . فالقس بطرس العجلتوني لا يهذي بل يؤكد « أنه أخذ هذا التاريخ عن كتاب المطران تادرس مطران مدينة حما وانه كتب مثل ما وجده » ولعل لقب مطران حما دليل على اقدمية عهد صاحبه ، حين كان الموارنة منتشرين في مدن سوريا الثانية . ونحن نعرف اسماء بضعة مطارين من طائفتنا حملوا هذا الاسم ، أخصهم المطران ثاودورس الذي أنابه البطريرك ارميا الدملصاوي عنه في ادارة الطائفة لما قصد الى رومية سنة ١٢٨٢ م كما ورد في زجلية ابن

---

(١) راجع في جونيه وصربا مقال الاب لامنس في المشرق ١ : ١٠١٧ — ١٠٢٠ و٣: ٤٥ وكتاب Rey عن الجاليات الافرنجية في سوريا ص ٥٢٤ حيث يقول ان جونيه كانت محاطة بسور ومركزاً لاغلب بطاركة الموارنة في القرنين ١٢ و١٣،

(٢) راجع في جالية قبرس المارونية ترجمة الدويهي للمطران شبلي ص ٣٨و٣٩ وتقاليد فرنسا لرستلهوبر ص ٦٧ من ترجمته العربية . والكنيسة المارونية للخوري بطرس ديب ص ٢٠٩ وصاعداً

القلاعي (١) . ونعرف ايضاً اسقفاً آخر بهذا الاسم هو المطران تادرس اسقف العاقوره صاحب الشرطونية المعروفة باسمه ، جمعها سنة ١٢٩٦ واعتمد عليها البطريرك الدويهي في الشرطونية الحالية المحفوظ اصلها في خزانة بكركي (٢) وللمذكور تاريخ مدني أخذ عنه الخوري يوسف الدحداح العاقوري ، الذي عاش في اواسط القرن ١٧ ، اخبار بعض الاسر (٣) . واخبرنا الاب يوسف حبيقه المؤرخ المدقق أن الاديب موسى باخوس غانم من لحفد أكد له انه عثر على اوراق من تاريخ المطران تادرس كانت بيد أحد ابناء قريته الذي هاجر الى اميركا ، فنقل عنها ما يختص بأسرة غانم . فاذا اضفنا هاتين الشهادتين الى شهادة القس بطرس العجلتوني تثبتنا من وجود تاريخ قديم منسوب الى المطران تادرس . ولعل اسقف حما واسقف العاقوره شخص واحد تولى ابرشية حماة وجعل مركزه في لبنان كما كان شأن اساقفة حلب الموارنة وما زال شأن اساقفة قبرس حالاً . فان صح ان صاحب الشرطونية وصاحب التاريخ واحد زادت قيمة الوثيقة التي بيدنا ، على الاخص في ما روته عن انتصار الكسروانيين ونكبتهم ، لانها تكون لشاهد عيان .

وقد يكون الكافابر باخوس عامل الملك فيليب اوغوست على كسروان هو نفس المقدم باخوس الذي كان على قول ابن القلاعي ، عضداً لابن ملك جبيل الصغير بعد وفاة والده « يدبر وينفق على الفرسان » (٤)

---

(١) مجلتنا ٦ : ٣٣ وكتابنا حروب المقدمين ص ٣٣ وهو غير المطران تاودروس اسقف كفرفو الذي توكل عن البطريرك ارميا العمشيتي لما سافر الى رومية سنة ١٢١٥

(٢) راجع تاريخ العاقورا للخوري لويس الهاشم صفحة ١٩٧

(٣) تاريخ العاقوره صفحة ١٩٩ حيث نسب الخوري لويس كتاب التاريخ الى تادرس الثاني المتوفى في اوائل القرن ١٦ مع انه لم يكن واسم العلم كالاول ولا نعرف عنه شيئاً

(٤) مجلتنا ٦ : ١٦٢ وكتابنا حروب المقدمين ص ٤٢

وخلاصة القول اننا اذا استثنينا في وثيقتنا اسم السلطان برقوق واخطاء الارقام ، التي تقع عادة في كل وثيقة تداولتها ايدي النساخ ، وجدنا معلوماتها موافقة لما نعرفه من التاريخ ومنيرة لطيات كثيرة منه كانت قبلها مغشاة بالظلام . فيحق لنا ان نحلها محل الاعتبار ونضمها الى مجموعة الوثائق التي يقوم عليها تاريخنا في العصور الاولى والوسطى منه . وهي نادرة كما لا يخفى

ويسرنا ان نستخرج منها فوائد تاريخية كنا نجهلها . فقد علمنا منها لاول مرة :

١ — اتحاد آل كسروان مع امراء بيت بلمع ، الدروز سابقاً والموارنة حالاً

٢ — وجود هذه الاسرة في اواخر القرن الثالث عشر وحكمها على مقاطعات الشحار والجرد والبقاع من لبنان ولم نكن نعرف عنها شيئاً قبل القرن ١٦

٣ — موقعة عين صنين بقرب بسكنتا وانتصار الكسروانيين وامراء ابي اللمع فيها على عسكر دمشق

٥ — عدد جنود الحملة الثانية على كسروان والمواقع التي اتخذتها في حصاره ومركز القيادة

٥ — نجاة اهل جونيه ودير مار شليطا من نكبة كسروان

وقد استندنا الى هذه الوثيقة فرجحنا

١ — ان اهل جونيه كانوا موارنة وانهم هاجروا الى جزيرة قبرس في سنة ١٣٠٧

٢ — ان المطران تادرس اسقف حماه صاحب التاريخ هو نفس المطران تادرس العاقوري الاول وهو الذي ناب عن البطريرك ارميا الدملصاوي سنة ١٢٨٢ ووضع الشرطونية المعروفة باسمه سنة ١٢٩٦ فكان اذن معاصراً لحملتي كسروان في سنتي ١٢٩٢ وسنة ١٣٠٧ اللتين جاء وصفهما في وثيقتنا

